

Mahdi Elmandjra and the Critique of the Global System

Postcolonialism and Civilizational Pluralism

Dr. Aziz BAAZI



* Sidi Mohamed Ben Abdellah University
Fez - Morocco
azizbazio@gmail.com

Date received: Dec. 11, 2025

Date revised: Feb. 2, 2026

Date accepted: June 23, 2026

DOI: [10.5281/zenodo.23615770](https://doi.org/10.5281/zenodo.23615770)

ABSTRACT

This article examines the Moroccan thinker Mahdi El Mandjra conception of “post-colonialism” as a new form of hegemony that transcends classical colonialism to encompass cultural, economic, and political domination. It outlines the three phases of contemporary history identified by El Mandjra: direct colonialism, neo-colonialism, and finally “post-colonialism,” in which culture becomes an instrument of control and the unipolar American power imposes a unipolar world order. The article further focuses on Africa’s position within this system, demonstrating that formal independence has perpetuated structural dependency through financial institutions and technical assistance that have weakened the self-immunity of states and entrenched mercenary elites. El Mandjra concludes by advocating self-reliance and South-South cooperation, as well as the rehabilitation of local languages and cultures as a precondition for development. In contrast to Samuel Huntington’s “Clash of Civilizations” thesis, he proposes an alternative grounded in “civilizational plurality and interaction,” based on mutual respect and a just redistribution of wealth and power within a democratic international system.

KEYWORDS

Mahdi Elmandjra; Post-colonialism; Globalization; Africa; Civilizational Plurality.

المهدي المنجرة ونقد النظام العالمي ما بعد الاستعمار والتعدد الحضاري



الدكتور عزيز بعزي

* جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس المغرب

azizbazio@gmail.com

الملخص

يتناول المقال رؤية المفكر المغربي المهدي المنجرة لـ "ما بعد الاستعمار" بوصفه شكلا جديدا من الهيمنة يتجاوز الاستعمار الكلاسيكي إلى هيمنة ثقافية واقتصادية وسياسية. بحيث يسعى إلى بيان المراحل الثلاث للتاريخ المعاصر التي قدمها المنجرة وهي: الاستعمار المباشر، ثم شبه الاستعمار، وأخيرا "ما بعد الاستعمار"، الذي تتخذ فيه الثقافة أداة للسيطرة وتفرض فيه القوة الواحدة الأمريكية نظاما عالميا أحادي القطب.

كما يركز المقال على موقع إفريقيا في هذا النظام، حيث يتبين أن الاستقلال الشكلي أبقى تبعية بنيوية عبر مؤسسات مالية ومساعدات تقنية أضعفت المناعة الذاتية للدول، وكرست نخبا مرتزقة. في حين يخلص المنجرة إلى الاعتماد على النفس والتعاون جنوب-جنوب، وإعادة الاعتبار للغات والثقافات المحلية كشرط للتنمية، مع فكرة "صدام الحضارات" لهنتجتون، وبالتالي يقترح بديلا لها يقوم على "التعدد والتفاعل الحضاري" المبني على الاحترام المتبادل وإعادة توزيع عادل للثروة والسلطة في نظام دولي ديمقراطي.

الكلمات المفتاحية

المهدي المنجرة؛ ما بعد الاستعمار؛ العولمة؛ إفريقيا؛ التعدد الحضاري.

مقدمة:¹ "ما بعد الاستعمار"² ولون آخر من الهيمنة

من شأن سرعة حركة التاريخ بشكل عام أن تهدد النشاط الاقتصادي والفكري على حد سواء، بوقوع تطورات غير متوقعة لا تجعلهما قادرين على مسايرتها والتكيف معها قبل حدوث الأزمات، وفي تصريحاته وكتاباتاته ومحاضراته يقف المهدي المنجرة بشيء من الواقعية عند حقيقة مفادها أن العالم الثالث لا يزال يعيش على تسيير أزماته دون أن تكون له القدرة والوسائل على استبصار الأزمات بشكل جلي قبل حدوثها، لمواجهة بالمثل اللازم³، ولذا أبدى تأييده لما جاء في دراسة حملت عنوان "يومية من أجل يابان التسعينيات" أنجزها المعهد الياباني من أجل تقدم البحث "النيرا" عام 1989م، وفي مستهلها صرح مدير هذا المعهد بأنه "لم يعد ملائماً النظر الى العالم من زاوية التقاطب العسكري، أي: المعاهدة الروسية الأمريكية، إذ أصبح من الضروري رؤية العالم بشكل مخالف، والتخلي عن رؤية النظام العالمي التي طالما تم الدفاع عنها، وتأسيسها على

¹ To cite this article:

BAAZI, Aziz. "Mahdi Elmandjra and the Critique of the Global System: Postcolonialism and Civilizational Pluralism." *Ijtihad Journal for Islamic and Arabic Studies*, vol. 3, no. 6, Ijtihad Center for Studies and Training, Belgium, October 2026, pp. 123–177.

بعزي، عزيز. "المهدي المنجرة ونقد النظام العالمي: ما بعد الاستعمار والتعدد الحضاري". *مجلة اجتهاد للدراسات الإسلامية والعربية*، مج. 3، ع. 6، مركز اجتهاد للدراسات والتكوين، بلجيكا، أكتوبر 2026، صص. 123–177.

© This research is published under the (CC BY-NC 4.0) license, which permits anyone to download, read, and use it for free, provided that the original author is credited, any modifications are indicated, and it is not used for commercial purposes.

² تقوم نظرية ما بعد الاستعمار أساساً على فهم الشرق والغرب، وتحديد العلاقة بينهما سواء كانت مبنية على التفاهم والتسامح والتعايش أم الصراع والصدام... وعلى العموم، فهذه النظرية تحاول تفكيك مقولات المركزية التي لا تخفي الغطرسة والهيمنة، والعمل على مقاومة كل هياكل هذه الهيمنة والقهر.

³ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ط1، مصر: مكتبة الشروق، غشت 1995م، ص 11.

ترسبات بأوامر من الأمريكيين. ويمكن تسمية النظام العالمي الجديد عصر الحضارات المختلفة القائم على انبثاق عصر تعايش حضارات متعددة". ومن المسائل المعروضة في فضائنا الفكري، هذا السيناريو القائم على التنوع الثقافي في المستقبل، كما يرى المهدي المنجرة، وهو من دون شك مخالف تماما لكل ما من شأنه تعزيز النظام الدولي ذي القطب الواحد، والذي يتجلى في الهيمنة السياسية الأمريكية وسيادة الثقافة الغربية، وهو السيناريو الذي نعيشه اليوم بدون مبالغة "سيناريو النظام الدولي الجديد"⁴؛ فملاح التعددية الدولية منبعثة بقوة، ومؤشرة على انعطاف المحفل الدولي صوب تعدد القوى بعد سواد هيمنة مفاهيم النظام الدولي الجديد؛ المنبثقة من احتكارية وتحكومية القطب الأمريكي الواحد في هذه المفاهيم المطبوعة بسياسة العولمة الاستيطانية التجويفية المجهزة على كل المعايير الإنسانية، والممزقة للأنساق القانونية التي لطالما اجتهدت البشرية لبلوغها حتى تنظم عبرها حياة الجماعة الدولية. فلا المبدأ الإنساني حقيقة سَلِمَ من التمثيل بروحه القانونية، ولا الإنسان سَلِمَ من مجازر التنكيل ومحرقات الإبادة، رغم شعارات التعايش والتعاون وحفظ الأمن والسلم الدوليين⁵. فالولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة المتفوقة في كل مجالات القوة: اقتصاديا وعسكريا ودبلوماسيا وإيديولوجيا وثقافيا، مع توفرها على قدرات التدخل الضرورية لصيانة مصالحها في كل بقاع العالم. مما أفضى إلى ترابعية السلطة في العالم الجديد

⁴ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 12-14.

⁵ ومن الأسئلة التي تفرض نفسها هنا: هل الحفاظ على السلام والأمن الدوليين يقتضيان تدفق كل هذه الأنهار الدموية، وكل هذه المحرقات التي نصبت للشعوب المستضعفة، وسحق جميع القيم الحضارية وتجويف الثقافات المحلية المغايرة للقيم المسيحية اليهودية بواسطة جرافات العولمة الزاحفة عبر الحدود بدعوى التعاون والتعايش السلميين؟ أنظر: المهدي المنجرة، زمن الذلقراطية، ط1، الدار البيضاء، المغرب- بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، 2017م، ص 35.

للسياسة الكونية؛ فبعد القوة العظمى الوحيدة، نجد في المرتبة الثانية "القوى الإقليمية المهمة"، وفي المرتبة الثالثة "القوى الإقليمية الثانوية". وفي ظل كل هذا، طرح المهدي المنجرة جملة من الأسئلة، من بينها: أي قراءة يمكننا القيام بها لميثاق الأمم المتحدة وللمعايير الأكثر بساطة للمواثيق والاتفاقيات الدولية؟ ماذا سيتبقى من مفهوم التفاوض والتصالح ذاته؟ وما هو مآل حرية الاختيار -الإرادة الحرة- ضمن التعاون الدولي؟ ألا يجب علينا الحديث بالأحرى عن "لبرلة سياسة القوة" و"خصوصية" العلاقات الدولية من لدن قوة واحدة؛ وذلك بفضل هيمنتها داخل كل مجال من مجالات القوة، كما سبق أن رأينا؟ وفي ضوء مقتضيات السياسة الدولية المعاصرة، فالعولة تتطلب الهيمنة لتسهيل عملية التجانس ووضع نظام جديد للطبقات المغلقة، وذلك على مختلف الدرجات؛ حيث يمكن "لقوة الأغنياء" و"لقوة المحرومين" أن تتواصلوا وفق قواعد محددة من جانب واحد من أجل مصلحة الجميع. أما في الوضع الحالي فالسلام سيكون مهددا بشكل خطير، كما أن الحفاظ على التنوع الذي يعد عنصرا أساسيا للبقاء، سيعرض للخطر، بحكم أن حظوظ تقليص الفروق داخل نفس البلد وبين الأمم، أصبحت ضئيلة جدا. وسيكون التواصل الحقيقي المتضمن للاحترام المتبادل أصعب بكثير؛ ذلك أن الغطرسة لم تكن أبدا وسيلة لتحقيق السلام أو الحكمة أو طريقا نحو التواصل والمعرفة المتبادلة⁶. ورغم الفوضى التي تميز عولمة اليوم فتسفر عن وجهها القبيح، لكن من الاستحالة التنصل من حقيقة أساسية تؤكد واحدية الحضارة الإنسانية.

بما أن الحضارات القديمة المختلفة تتسم بالتباعد - بسبب عدم الاتصال جغرافيا وتاريخيا - فالمعطيات الجيوبوليتيكية الحديثة وثورة الاتصالات التي ألغت الحدود بين

⁶ المهدي المنجرة، قيمة القيم، ط1، دم، دد، يناير 2007م، مارس 2007م، ص 76-77.

الدول والشعوب، وإشكاليات البيئة التي ربطت بين بقاع الأرض ووحدة مصير سكان كوكبنا، عملت على سيادة حضارة واحدة كان ينبغي لها أن تكون ملكاً للبشرية جمعاء، وليست حكراً على أحد، مادامت كل شعوب المعمورة من أقصاها إلى أقصاها أسهمت في تشكيلها بالجهد والعرق والدم، وبالعلم والمال، بل دفعت شعوب العالم الثالث وحدها، وما زالت تدفع منذ القرن الثامن عشر القدر الأكبر من فاتورة هذا التقدم الهائل بوسائل مختلفة، بداية من النهب والاستعمار الذي مورس عليها، وصولاً إلى الإكراه المفروضين عليها الآن من قبل الدول الكبرى من خلال نظام أعدته سلفاً يحافظ على المستوى المتقدم الذي وصلت إليه الحضارة الغربية في بلدانها، في الوقت نفسه الذي يسود فيه التراجع والتخلف الذي تعانيه شعوب العالم الثالث، ولا جرم أن بعض مفكري العالم الثالث يرفض مقولة الحضارة الإنسانية الواحدة بحجج شتى، فالبعض يربطها بالتبعية، والبعض الآخر يربطها بالتغريب، كما يربطها البعض بظاهرة الغزو الثقافي، وتظل الخلفية التي تقبع وراء مواقف الجميع هي ربط حضارة الغرب اليوم بمظاهر الإكراه والضغط على مجتمعات العالم الثالث للقبول بما لا يمكن قبوله، وهذا صحيح، إلا أن الوجه الآخر من تلك الخلفية يكمن في التردّي والتخلف والانسحاق الذي تعانيه في مقابل هذا الغرب المتقدم. وبدلاً من التفكير والعمل الجاد بأخذ أسباب التقدم الغربي المعتمد على الحداثة والتحديث نرى هذا البعض يرفض تلك الحضارة الغربية قلباً وقالباً كرد فعل انفعالي أكثر منه موقفاً مفكراً فيه، وهذا يختلط بالإبستيمي بالأيدولوجي، وتضيع في خضم هذا الخلط الموضوعية العلمية، وحجية المنهج، مسفرة عن وجه يخلط

بين الوطنية والعلم، والدين والجغرافيا، والحضارة والثقافة، والاستعمار والتنوير والحدثة، والقضاء على الخصوصية⁷.

لم يجد الكثير من المشتغلين بشؤون الفكر والسياسة بدا من التعبير عن قلقه التام تجاه ما يحدث اليوم، وقد كتبت سيمون فايل⁸ عام 1943م، بأن "أمركة أوروبا تشكل خطرا جسيما"؛ وبأنه يتم تئير أمركة الكوكب الأرضي، مضيفة بأن "الإنسانية ستفقد ماضيها وأن هذا الأخير لما يفتقد، لا يمكن العثور عليه مجددا أبدا"⁹. وقد بات واضحا أن الدفاع عن القيم الثقافية أحد الأهداف الأكثر أهمية بالنسبة لسكان العالم، ولا ينبغي للمرء، بأي حال من الأحوال، أن يتجاهل تلك الحقيقة. وبدون هذا المحفز ما كان بالإمكان أن تحرز الاستقلال، فالاستعمار رام إعادة كتابة تاريخ المستعمرات، لكنه أخفق عمليا في تحقيق مساعيه هاته، وبعد الاستقلال تكلف الاستعمار الجديد بمقتضيات الحاضر عن طريق التعاون، والآن تحاول نفس القوى الاستيلاء على مصير المستعمرات القديمة، ويمكن تسمية هذا العصر بـ "ما بعد الاستعمار"، ولاستيعاب هذه المرحلة أكثر، وفهم لبسها وأسرارها، دون فصلها عن المراحل التاريخية السابقة، من الأهمية بمكان أن نوضح التقسيم الذي وضعه المهدي المنجرة للتاريخ المعاصر المتشكل من ثلاث مراحل¹⁰: المرحلة الأولى: "استعمارية" غير منفصلة بالأساس عما هو اقتصادي وسياسي، وقد عرّفتها جل دول العالم العربي والإسلامي إلى حدود الخمسينات أو الستينات. وقد أدت

⁷ مجموعة من المؤلفين، دول وعولمة إستراتيجيات وأدوار، إشراف لورينا باريني، ترجمة نانيس حسن عبد الوهاب، مراجعة وتقديم مجدي عبد الحافظ، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة 2007م، ص 12-13.

⁸ الفيلسوفة الفرنسية، ومساعدة سابقا للجنرال دغول في لندن.

⁹ المهدي المنجرة، عولمة العولمة من أجل التنوع الحضاري، الكتاب 18، الدار البيضاء: منشورات الزمن، أكتوبر 2000م، ص 30-31.

¹⁰ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، نفس المصدر، ص 12-14.

خمسة قرون من الاستعمار إلى نهب ثروات ثلاث قارات ثم تدمير اقتصاداتها، وتكبيّلها بالديون، وقبل ظهور ما يسمى اليوم بالدول النامية، كان هناك نمو مستقل عن أوروبا التي أسست وجهة نظر خاصة للتاريخ، وقد أدت لغة المصطلحات دورها في تسويق كذبة مزدوجة دولة نامية في المجال الاقتصادي، لا تعني دولة متخلفة أو متأخرة في التطور التاريخي، ولكنها تعني تبعية استعمارية تعوق فرص التنمية الذاتية، وتكرس الاقتصاد المحلي لخدمة الاقتصاد الأقوى، ويخفي مصطلح "على طريق التنمية" حقيقة ازدياد ثراء الدول الغنية على حساب الدول الفقيرة¹¹. وقد برر الغرب تسلطه على العالم، ونهبه لثرواته، وقمعه لحرياته باختلاقات كثيرة، منها ما كان باسم رسالته في قيادة العالم ومسؤوليته في نشر الحضارة، بل وفي بعض الأحيان نشر المسيحية... وتحت مثل تلك الشعارات، نهب الغرب العالم وأباد بعض حضاراته بمعظم أفرادها! هكذا وصف جول فيري النظام الاستعماري وبرهن عليه. وقد تولد من هذا التطرف الأول للنظام الاستعماري الغربي، كل أنواع التطرف الأخرى في العالم، والتي تشكل ردود أفعال متوقعة للدفاع عن الهوية الشخصية الثقافية أو الدينية للشعوب المستعبدة¹².

المرحلة الثانية: "شبه الاستعمار"، وتمتد من بدايات الستينات إلى عام 1990م، فالاستعمار بمجرد رحيله، ترك هياكل غير قادرة على مسايرة التطورات المتسارعة، مما أثر في تعطيل نمو المجتمع، وترك لنا طبقة مثقفة بعيدة عن جذور المجتمع وقاعدته العريضة، تسببت في قطع الاتصال الطبيعي الذي كان ما بين الحركات التحريرية الشعبية وبين الشعب، وفي مقابل ذلك نجد عددا كبيرا من هؤلاء المثقفين مشدودين إلى

¹¹ روجيه جارودي، حفارو القبور الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة عزة صبيح، ط3، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ-2002م، ص17.

¹² روجيه جارودي، نفس المصدر، ص23.

تقليد الغرب وترديد قيمه وترويجها بوعي أو بدونه، كما نجد جزءاً آخر منهم، يجتذب نحو مؤسسة السلطة، ليصبح تقنياً لها وعاملاً في إدارتها، ومخططاً لبرامجها، ذات الاتجاهات المعاكسة لرغبة أغلبية السكان في التغيير.

المرحلة الثالثة: "ما بعد الاستعمار"، وتعود بدايتها إلى عام 1990م، وتشكل حرباً قادمة تقوم على ما هو ثقافي وحضاري بين الشمال والجنوب؛ حيث تتخذ الثقافة وسيلة للسيطرة¹³. ومن يهدد مكانة الولايات المتحدة ومصالحها السياسية والاقتصادية والحضارية فلن ينجو من المواجهة الغربية لكي لا يكون قدوة لدول العالم الثالث مثل حالة العراق، وهذا ما حدا بالمهدي المنجرة إلى القول "لا يمكن بعد اليوم الحديث عن شبه استعمار بعد 2 أغسطس رفع عنه كل الحجب، ولابد هنا من أن أنبه إلى عدم الانزلاق في أطروحات الإعلام الغربي الذي كلما حدثت مشكلة صنع لها اسماً ليختزنها ويخفي أبعادها الحقيقية، فمشكلة الخليج ليست مشكلة صدام حسين، وسواء كان صدام أو غيره كان سيحدث ما حدث، والعراق كان مستهدفاً لما حققه من عصيان ضد مبدأ الاستسلام للغرب، فبنى أسس استقلاله عن التبعية للغرب، ولذلك تحرك الغرب كله ضد العراق حتى لا يكون قدوة لدول العالم الثالث. وأسعي هذه المرحلة "ما بعد الاستعمار" لأنها حرب انطلقت ولن تنتهي بغض النظر عن كل النتائج المادية، فالحرب القادمة هي حرب ثقافات وحضارات بين الشمال والجنوب"¹⁴. وفي عالمنا اليوم، فالظاهر أن كل واحد من الكيانات الثقافية الموجودة، يتشبه بمنظومته المرجعية القيمة الخاصة، بدرجات متفاوتة من التطرف، بل ويكاد يكون مستغلقاً ومغلقاً على نفسه، إلى

¹³ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، نفس المصدر، ص 12-14.

¹⁴ ويسمى المنجرة أيضاً حرباً بين فكرة التسلط والاستبداد الحضاري وبين فكرة الاختلاف التعدد. أنظر نفس المصدر، 13-15.

حد يبدو فيه وكأن الاختلاف بين هذه الكيانات الثقافية هو اختلاف جذري لا سبيل إلى تذليله أو تجاوزه، وأنه بدلا من حوار ثقافي إيجابي ومنتج، لا نجد في نهاية المطاف إلا التنافس وصراع المصالح؛ إلا لغة التعصب والعنف وإرادة التسلط وبسط الهيمنة، تطغى سرًا وعلانية على العلاقات السائدة بين الكيانات الثقافية¹⁵.

ويحظى الاستعمار القديم، في تصور المهدي المنجرة، على الأقل بامتياز الشفافية، وقد بدا هذا واضحا في قوله "إذ كنت تجد محتلا وساكنة خاضعة للاحتلال، فقد كان هذا الخضوع بلا أقنعة"، وفي مرحلة "ما بعد الاستعمار" أصبح الوضع مخالفا إلى درجة التعقيد، فثمة "تجمع" يحيل إلى تواطئ المستعمرين القدامى مع المستغلين العالميين الجدد، وبشكل كبير تم تشجيع العولمة، بفعل التأثيرات المشتركة لكل من "ما بعد الاستعمار" ورعاية القوى العظمى، ووصاية المؤسسات المالية التي تعمل تحت إمرة هذه الأخيرة، إضافة إلى قوى أخرى تتحكم في مصائر دول الجنوب¹⁶. فأفريقيا إذن هي أكثر المناطق في العالم التي تتبلور فيها جميع طروحات "ما بعد الاستعمار"، وهذا ما سأيّنه في هذا المقام في الحين.

أولا: أي موقع لإفريقيا في "ما بعد الاستعمار"

فكما قُسم العالم العربي- الإسلامي حسب المنجرة، قسمت القارة السمراء، ما بعد مؤتمر برلين تحديدا؛ وبموجبه خلقت دول لا أساس لها تاريخيا، والشيء نفسه بالنسبة إلى أفريقيا التي يتعدى عدد دولها خمسين دولة، ويذكر أن بعض دولها لا يبلغ عدد

¹⁵ عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، ط1، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، آذار- مارس 2013م، ص 98.

¹⁶ المهدي المنجرة، قيمة القيم، المصدر السابق، ص 83.

سكانها مليون نسمة. وعلى ضوء ذلك صرح المنجرة بأنه وقع الشتات الأفريقي، وهو صراحة استمرار لتقسيم وحدود خلفها الاستعمار الكلاسيكي؛ حيث تم توزيع الأراضي الأفريقية بين القوى الاستعمارية الفرنسية والإنجليزية والبرتغالية والإسبانية وغيرها. وهذه الخطة التفتيتية، هي السبب الأول في تشرذم الشعوب داخل بلدانها؛ حيث نجد قبيلتين هما في الأصل قبيلة واحدة، قبل مجيء الاستعمار أو قبل تدخل الاستعمار بين أفرادها بأساليب أخرى. وفي حالة إذا دققنا النظر في كيفية حصول تلك الدول على استقلالها فإننا نلاحظ أن ذلك تحقق عمليا عن طريق أسلوبين: الأسلوب الأول انتقالي كما حدث مع المستعمرات الفرنسية. أما الثاني، فهو مبني على التفاهم، وهذا ما رأيناه مع المستعمرات البريطانية كنيجيروا وغانا وغيرها. وقد باتت "أفريقيا مستعمرة أكثر من ذي قبل، فدبابات الاستعمار رحلت تاركة بصماتها والحارسين لهذه البصمات"¹⁷، فعدد كبير من قادة الدول الأفريقية بعد الاستقلال كانوا قبلاً في برلمان الجمهورية الرابعة الفرنسية، وهذه الصلة قديمة وشبيهة بالحل السري الرابط بين الأم والجنين، وفي ما قبل كان بالإمكان إبطار المستعمر ومواجهته مباشرة، أما أفريقيا اليوم، في تصور المنجرة فهي تعيش بحكومات لم تدافع عن إرادة شعوبها، فقط وحده الاستعمار هو الذي ساند بقاءها واستمراريتها، تاركة للأجنبي حق التصرف الكامل في بلدانها، بدءاً من تقرير المصير إلى التحكم في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتحديد المجال الاقتصادي¹⁸. فالفئات المرتزقة كما يحلو للمنجرة أن يسميها تملك مصالح وصفقات اقتصادية أساسها نهب الخيرات الوطنية والمساعدات الاستعمارية والرشوة المقدمة

¹⁷ وهم حسب المنجرة من قادة ومسيرين محليين مرتزقين. أنظر، المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق ص58.

¹⁸ المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق، ص59.

لممثلي الدول العربية والأفريقية، وهو سلوك لم نلمس حدته في أميركا اللاتينية أو في الدول الآسيوية. وعلى كل حال، فقوى ما بعد الاستعمارية تحمي مصالحها، وتحقق أطماعها عبر حماية أشخاص معينين، تبارك سلطتهم وتقيم معهم تحالفات، حتى على مستوى التدخلات العسكرية، ومراقبة العمليات الانتخابية واصطناع النتائج المتوائمة مع المنافع الإستراتيجية للمسؤولين المحليين المرتزقين وللسياسات ما بعد الاستعمارية. وإذا دققنا النظر، في وجهة نظر المهدي المنجرة، تجاه واقع أفريقيا الميرير والمتقهقر، فمرده هو غياب ديمقراطية حقيقية، وحرمان الشعوب من حرية التعبير وتقرير المصير¹⁹، والخيال السياسي النزيه من جهة، ومن جهة أخرى فأفريقيا ترفل في بليتي الجهل والامية المقدرة ب 60%²⁰. وبشكل جلي، يمكن أن نعاين على المستوى القاري ككل أو على مستوى كل دولة، التردّي والتقهقر على جميع الأصعدة، فنيجيريا ذات أهم إنتاج نفطي في القارة تسجل سنة بعد أخرى تراجعاً إلى الوراء في كل الميادين، فصورتها مؤلمة في المجتمعات الأفريقية، ويمكن التوصل إلى هذه الحقيقة من خلال تأملنا في مجمل المساعدات الفنية المقدمة للقارة من طريق الأمم المتحدة أو البنك الدولي²¹، فهما بالذات

¹⁹ ولذلك صرح المنجرة في أكثر من مناسبة بأن كل نموذج تنموي لا يأخذ بعين الاعتبار رؤى وحاجات السكان - بعيداً عن الشعبية وتفعيلاً بالمشاركة الفعلية - سيكون مآله الفشل. أنظر المهدي المنجرة، قيمة القيم، المصدر السابق، ص111.

²⁰ نفس المصدر، ص59.

²¹ ويعتبرهما المهدي المنجرة أي مؤسسة صندوق النقد الدولي، ومؤسسة البنك الدولي أخطر مؤسستين على حاضر ومستقبل بلداننا، وقد كانوا كذلك من ذي قبل. لكن الدول التي تلجأ إليهما هي التي يجب توبيخهما ربما أكثر من تلك التي تقبل طلبها. خطر هاتين المؤسستين يتمثل في نماذج التنمية التي تفرضها والتي ترهن استقلال الدول المتلقية للمعونات، ولعل الخمسين سنة الماضية كافية لتوضيح النتائج السلبية التي كانت هاتان المؤسستان وراءها. فالحكومات التي لا مصداقية لها عند شعوبها، تلتجئ إلى هاته المؤسسات كي تساعدوا للحفاظ على السلطة وضمن "الاستقرار" (استقرار من ولن وبأي ثمن؟) هذا هو السؤال "أنظر المهدي المنجرة، قيمة القيم، المصدر السابق، ص113.

آلية تسخير العالم الثالث لمصالح الغرب، وقد أنشأتهما وتسيطر عليهما الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون، عن طريق تقديم قروض للدول التي تمر بصعوبات معينة تحت شروط سياسية واجتماعية واقتصادية، ومالية تسمى بحياء كما أوضح روجيه جارودي برامج الإصلاح أو خطط الإصلاح البنوي، ولتوضيح حقيقته لأبأس من التنبيه إلى أن هذا البرنامج، في الغالب، يتكون من العناصر الآتية:

- خفض سعر العملة (بهدف تشجيع الصادرات وخفض الواردات)؛
 - تخفيضات هائلة للنفقات العامة، وبصفة خاصة على المستوى الاجتماعي (خفض اعتمادات التعليم، الصحة، الإسكان، وإلغاء الدعم بما فيه الدعم الغذائي)؛
 - خصخصة الشركات العامة أو رفع أسعارها (الكهرباء، الماء، المواصلات... إلخ)؛
 - إلغاء التحكم في الأسعار؛
 - زيادة الضرائب ومعدلات الفائدة، كل ذلك بهدف خفض معدل التضخم.
- ومما لا نزاع فيه أن هذه الليبرالية تحكم بشكل أفضل من الاحتلال العسكري أو الديكتاتوريات العسكرية، وبالفعل فقد دفعت الشعوب نيابة عن جنراتهم وكولونياتهم ثمن الأتعاب القاتلة التي تمكنهم من الحفاظ على "النظام" في خدمة أسيادهم الأجانب، واللافت اليوم أن القروض الجديدة تخدم بصفة خاصة تسديد

فوائد الديون القديمة، وقد أسفرت هذه السياسة "للإصلاح" عن اندلاع مظاهرات للجوع ضد ارتفاع الأسعار²².

وينظر المنجرة، فهذه المساعدات سواء كانت دولية أو ثنائية تعبر عن التأخر بشقي صوره، وفي حالة إذا لم يكن هناك إسهام ذاتي في العملية وتقرير المصير وتحديد الأهداف والأرضية والخطط والسياسات الاجتماعية والاقتصادية²³. وغير خاف أن مسألة التنمية على حد تعبير المنجرة "قبل كل شيء، تبقى ظاهرة ذاتية، تعتمد بالأساس على المجهود الوطني، ورغم كثرة البرامج الدولية للتنمية، لاسيما في أفقر الدول، حيث يزداد الاهتمام الدولي، فإن "المساهمة الوطنية نادرا ما تمثل أقل من 70% من المجموع. وتبقى المساعدة الدولية التي تنتج عن هذا التعاون، ضعيفة من ناحية الكم. إذن يصبح من الضروري القيام بمقاربة منظومية في التحليل لتقييم جودة التفاعل الثابت بين المستوى الوطني والمستوى الدولي. والمهم في هذه المساعدة الخارجية، هي الأفكار والتصورات الناتجة عنه والتجارب الصادرة منه"²⁴. هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن برنامج الأمم المتحدة للتنمية لا يقوم بتمويل أي مشروع، إلا إذا كان منسجما مع بعض التعاليم أو الأهداف المقررة من طرف مجلسه الإداري، وهذا الأخير بدوره، لا يمكنه اتخاذ مثل هذه القرارات دون اعتبار التوجهات السياسية العامة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي.

وبما أن بعض الدول أدركت خطورة المشكل بعد وقت طويل، فإن هذا التأخير خلق مشكلا جديدا، استوجب طريقة جديدة لعلاجها. ولهذا، فإن المقاربات الجديدة التي يتم

²² ومن تلك المظاهرات ما شهده المغرب عام 1981م وفي عام 1984م. وفي كراكاس عام 1985م ومارس عام 1989م. وفي الجزائر في أكتوبر عام 1988م. ومن أجل دفع الدين بالدولار، تنتج البلاد المعانة كثيرا مما لا تستهلكه، وتستهلك كثيرا مما لا تنتجه. أنظر في هذا الصدد، روجيه جارودي، المصدر السابق، ص 32-34.

²³ نفس المصدر، ص 60.

²⁴ المهدي المنجرة، قيمة القيم، المصدر السابق، ص 20.

التفكير فيها حاليا من طرف العالم الثالث، هي منهج الاعتماد على النفس. بحكم أن الاعتماد على النفس كالاتحاد الجماعي على النفس، خيارات نابعة من الاقتناع بأن المرهونين يفضلون الاحتفاظ بثرواتهم بأي ثمن، عوض تقاسمهم إياها لتسهيل تقدم الآخرين، والفكرة هي أنه من الأفضل أن يعتمد المرء على نفسه بدل قبول الفضلات، لأنه في حالة قبول هذه الفضلات، تؤخر التحولات الجذرية للنظام العالمي الذي يملك طاقة محدودة لتحمل الاختلالات الكبيرة. وستكون بذلك الوسيلة الوحيدة لتغيير النظام الدولي، وليس فقط لتكيفه مؤقتاً²⁵.

ويقر المنجرة بأنه لا يعقل أن تحاول فرض وصفات شاملة موحدة لحل مشكل التنمية، والذي لا يقبل بحلول نهائية؛ حيث إن المعايير والقيم الاجتماعية الثقافية تتغير، وهذا محور غائب عند بعد الاقتصاديين في نماذجهم، والتي تؤدي دوراً أساسياً. وتختلف القيم والأهداف والحاجيات من جيل لآخر، ولذلك لا يحق فرض منظومة القيم التي سينتج عنها تصور جامد للتنمية. وهذا الجانب الأخير للمشكل، يرتبط بالجودة والخلق والخيال واللاموضوعية والعاطفة. ولذا لا يمكن إدماجه في منهج محدد ولا حتى الاستفادة من إستراتيجية التنمية في قالب رياضي محض.

وهذا البحث الدائم حول التنمية، لا ينحصر فقط عند مستوى منظومة القيم، ولكن على المستويات الجيوسياسية والجيوقرافية داخل نفس البلد، بين الدول المجاورة أو داخل دول من نفس القارة. حيث قد نبحت هنا عن انسجام سياسي، وهناك عن انسجام ثقافي، وفي منطقة أخرى، عن اندماج اقتصادي، هذا إن لم يتم البحث عن الثلاثة في الوقت ذاته.

²⁵ المهدي المنجرة، قيمة القيم، المصدر السابق، ص 20-22.

بوسعنا أن نقول إذن إن التنمية، بنظر المنجرة، ظاهرة جد مركبة، وتستوجب انفتاحا فكريا واسعا لفهم حركيتها، وهذه الحركية تكمن في التفاعلات الدائمة بين مختلف مستويات التحليل التي سبق التطرق إليها. وبدون الوعي بهذه الأمور، ثمة خوف من العمل على أساس نماذج جامدة التي قد لا تسمح بأي تكييف منظم، تفرضه إستراتيجية التنمية، إنه تكييف يجب إدراجه مسبقا، حتى وإن لم ندرك طبيعته بالضبط، عوض مواجهته بطريقة عشوائية²⁶.

ثانيا: أي مستقبل لإفريقيا؟

إن تبعية "ما بعد الاستعمار" متجذرة لا محالة بجميع صنوفها الاقتصادية والثقافية والسياسية، وقد شبه المنجرة المساعدات الفنية المقدمة للقارة من طريق الأمم المتحدة أو البنك الدولي، حين كان رئيسا لقسم أفريقيا في اليونسكو، بمرض AIDS أو السيدا. والغريب كما أكد "أن حروف المفردتين بالإنجليزية متشابهين، كما تتشابه خصائصهما، فالإيدز يفقد المصاب به المناعة الداخلية لمواجهة الداء الخارجي، والشيء نفسه في المساعدة الفنية، حيث تفقد المجتمعات مناعتها الجوانية وقدرتها الذاتية، واعتمادها على هياكلها وميزانياتها ومعاملتها ويدها العاملة، فتغدو هذه البلدان معتمدة بشكل كلي على الإعانات الخارجية، منتظرة الهبات وفتحة الأبواب على مصراعها، لتتصرف القوى الخارجية بصيغة مطلقة وحررة ونفعية طبعاً". وتلك المساعدات لا تعبر عن الحقيقة، وهذا ما يمكن أن نستشفه من خلال تصريح وزير خارجية فرنسي ألقاه في البرلمان الفرنسي، حيث قال فيه: "دفاعا عن ميزانية المساعدة والتعاون يجب ألا ننسى أن كل فرنك يقدم لأفريقيا يسترد بسبعة فرنكات في التجارة الخارجية. والحقيقة أنه لا يوجد

²⁶ قيمة القيم، المصدر السابق، ص 24-25.

شيء اسمه المساعدة، بل هي قروض تقيد حرية تصرفك وتفرض عليك التعامل مع بضائع وخبراء الدولة المقرضة. وهي آلية من بين آليات التغلغل الأجنبي التي تتيح له التصرف في الاقتصاد". وبحكم أن المجالات متداخلة ومترابطة، كما يلح المنجرة فإن الاستغلال الاقتصادي يجر الاستلاب الثقافي والتبعية السياسية واحتكارية الشركات المتعددة الجنسيات، خصوصا النفطية، ثم ارتباط المخابرات الرسمية للبلدان بهذه القضايا. فجّل المشاكل التنموية المتعلقة بدول الجنوب هي بالأساس مشاكل بنوية²⁷ في تصور المنجرة، لذا يرى أن الاستثمار الأجنبي بشكل عام، والمساعدة والصدقة لا تخرج عن كونها وسائل للتقويم، لذا أشار إلى أن النظام الدولي هو الذي يخلق اللامعالية ثم ينمى على المستوى السوسيو-اقتصادي، حيث يفرض تدابير قهرية في الحقل النقدي، يحتفظ بالممارسات المؤسسية المتجاوزة، كما يقوي المبادرات السياسية والعسكرية الأحادية، ثم يتصرف بطريقة مركزية في الحقلين العلمي والثقافي، وهذا ما جعله يؤكد أن ليس ثمة أدنى مديح لتلك المرحلة الاستعمارية التي مثلت إحدى الصفحات الحالكة في التاريخ، لكن هذا السؤال في تصور المنجرة "يحيل مباشرة إلى المسؤوليات الملقاة على عاتق متخذي القرار بهذه الدول، العام منهم والخاص سواء بسواء. لقد أفقروا شعوبهم، واغتنوا هم لحد التخمّة. التنمية مكنت إذن شريحة قليلة من المترفين من الأغنياء دون حساب في الوقت الذي نجد فيه أن مؤشرات الحياة للأغلبية الساحقة من السكان تتدنّى لدرجة خطيرة سنة بعد سنة"²⁸. ومن هذا المنطلق خلص المنجرة إلى أن مصير الثقافة الوطنية، رهين بتطهير أجوائها من المثقفين المرتزقة، وبدحر كل ما هو دخيل على أفكارنا

²⁷ وهذا ما عبر عنه غداة مؤتمر كانكو، عام 1981م، حيث طلبت منه جريدة فرنسية (لوموند) أن يكتب عن الحوار شمال - جنوب، ويؤكد أن تلك الأفكار التي عبر عنها حينه ما زالت اليوم ذات قيمة ولربما أكثر قيمة. أنظر المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق، ص 60-61.

²⁸ المهدي المنجرة، انتفاضات في زمن الديمقراطية، ط3، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2006م، ص 36.

حتى نبي لشعوبنا أرضية ثقافية، قوامها الأمانة في العمل الفكري، لتنتعق من الاستلاب الفكري والانسلاخ الثقافي"²⁹.

يتأسف المنجرة، تجاه ما يحصل بأفريقيا وبصورتها غير المشجعة، لكونها اختارت نموذجا تنمويا يعتمد على الخارج، مما جعله يؤكد أن النماذج التنموية القائمة على هذا الأساس تُعد وسيلة لاستغلال الخيرات المحلية. وفي الثمانينات من القرن المنصرم، عمل المنجرة إلى جانب مجموعة خبراء أفارقة فقط، على تهيئ رؤية أفريقية مستقبلية، فيما يخص منظمة الوحدة الأفريقية، أطلق عليها "النموذج التنموي الأفريقي"، وبذلك تم عقد اجتماع أول قمة أفريقية اقتصادية. وعلى ضوء مخرجات هذه القمة قال المنجرة "هذه القمة لم يكن لها ثاب، فخرجنا من هذا الاجتماع بما يُعرف بإعلان متروفيبا. كما أجريت في الفترة نفسها دراسة حول (أفرقة أفريقيا) وهو أمر ضروري. فأفريقيا لا يمكن لها استشراف المستقبل إلا عبر أفريقيتها، لكن العراقيل التي تعترض سبيلها كثيرة ومتشابكة ومتفرعة ومتجذرة معا، كما هو معاش في العالم العربي، وإن كان عدد الدول العربية أقل، لكن الإشكال يظل نفسه، والضغوط التي تعاني منها أفريقيا جمة وتمس نواح عدة حتى الثقافية، ففرنسا لن يهنا لها بال حتى ترسخ بشكل دائم المخطط الفرانكفوني إذ ينسى العديد من العرب انتماءهم الأفريقي، لا بل أدهى من ذلك يجهلون ما هي أفريقيا"³⁰. وهذا السلوك، كما قال المنجرة "هو أحد مخلفات الاستعمار الذي قسم القارة إلى بيض وسود. والحق أنه لا وجود لأفريقيا بيضاء، وكدليل على ذلك أنه عندما كنت رئيسا للقسم الأفريقي في اليونسكو، أردت الذهاب إلى أفريقيا الجنوبية، إلى جوهانسبرغ وأيضا المرور عبرها إلى مناطق أخرى، فلم يسمح لي بالدخول لأنني اعتبرت غير

²⁹ نفس المصدر، ص 20.

³⁰ المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق، ص 62.

أبيض بمفهوم غير أبيض". فمن معالم إستراتيجيات "ما بعد الاستعمار" و"الاستعمار القديم" خلق جيل أفريقي تابع ثقافيا، يحفل بمركبات النقص لديه أو شبه جهل بحضارته المحلية وقيمه العريقة، وعدم اهتمامه باللغات الأم. فأول لغة في أفريقيا هي العربية، حيث ينطق بها 20 مليون أفريقي، لأن ثلث البلدان الأفريقية هي عربية. وبعد العربية نجد "السواحلية"، وجزء كبير من تركيبة هذه اللغة أصوله عربية ويتكلم بها 80 مليون، ثم "الهاسية" بـ 70 مليون ناطق، و"البانتو" بـ 50 مليون متحدث وتستعمل في جنوب أفريقيا، ولدينا "اللهجات الأمازيغية" في شمال أفريقيا في المغرب وتونس والجزائر، بأكثر من 30 مليون ناطق، وأيضا هناك ما بين 20 و25 مليون أفريقي، يتحدث بلغة الساحل "البرل"، كما يوجد 30 مليون متكلم بـ "اليوروبا"³¹.

هذا الزخم اللغوي الأفريقي هو رصيد ثقافي وتاريخي، ولذا نجد المنجرة يلح على أهمية عنصر اللغة في بناء قواعد وأسس المجتمعات، بحيث لا يمكن أن نبي بلغة الآخر، بحكم أن المؤسس المتين هو اللغة الأم، ويسمى المنجرة "لغة التاريخ أو الذاكرة"، ولا يوجد أصعب من إشكالية اللغة لمواجهة الاستعمار لأن عناد الاستعمار الثقافي تفوق حدته الاستعمار السياسي. ويرى المنجرة أن اللغات الأجنبية كالفرنسية أو الإنجليزية يصلح استعمالها في التكنولوجيا وفي الأبحاث العلمية وفي التواصل الدولي والحضاري، وتكون اللغات الأصلية الأفريقية بما فيها العربية جد هامة، ذلك أن اللغة أساس ولا تطور إذن بلغة الأجنبي، ولذا فهو يذكر أن أول ما واجهه حين كان رئيس القسم الأفريقي في اليونسكو هو فرنسا كدولة عضو في اليونسكو، حيث خاض صراعا معها عندما سعى إلى تنظيم ندوة حول اللغات الأفريقية، وقد سافر إلى داكار للاتفاق مع السنغال على تنظيم

³¹ - المهدي المنجرة، زمن الذلراطية، المصدر السابق، ص 63.

هذه الندوة، لكن تدخل فرنسا حال دون ذلك، بحكم أن السنغال رفضت تحت ضغط فرنسي، لذا اتجه صوب دول أخرى كالكاميرون التي كان جزءا منها مستعمرة فرنسية والجزء الآخر مستعمرة إنجليزية، وبالتأكيد فقد عقدت هذه الندوة أخيرا في الجزء المحتل من طرف الإنجليز.³²

لتوضيح هذه المسألة أكثر، يمكننا التأمل في محتوى كتاب "أوروبا والتحدي الثقافي" الصادر عام 1990م، للكاتب الفرنسي الوطني التقدمي، جان ماري دوميناش، فقد تناول قضايا خاصة بالمسألة الثقافية الساعية إلى تحقيق الوحدة، ويثير في هذا السياق إشكالات وتساؤلات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، إذا كانت أوروبا قابلة لأن تتوحد اقتصاديا وإلى حد ما سياسيا، فهل يمكن أن تتوحد ثقافيا؟ جوابا عن ذلك، يؤكد السيد دوميناش أن المسألة الأولى والأساسية في هذا الشأن هي مسألة اللغات، فتعدها في أوروبا، يقف عائقا أمام جميع محاولات التعاون تقريبا. وهكذا فليس من الممكن دبلجة الأفلام والشرائط السمعية البصرية إلى عدة لغات في وقت واحد، وليس أمام المؤسسات الأوروبية إلا أن تعاني التعثر في وظيفتها بسبب الترجمة إلى ثماني لغات.

أما في فرنسا فلا تحظى هذه المسألة بالاهتمام الذي تستحقه بسبب واضح هو أنه إذا تبنت المجموعة الأوروبية لغة مشتركة فستكون تلك اللغة هي الإنجليزية، وهذا ما لا تريده فرنسا فهي لا تقبل أن تصبح اللغة الإنجليزية لغة أوروبا الموحدة، وهذا سيؤدي أولاً إلى إفقاد اللغة الفرنسية منزلتها العالمية، لتصبح لغة جهوية، وسيؤدي ثانيا إلى تقليص التنوع الأوروبي، وبالتالي إلى عملية إفقار للثقافة في أوروبا، ثم إنه سيعمل على إحداث قطيعة مع الفضاء الخارجي للفرانكوفونية - مما يجسم عملية الإفقار تلك، ثم

³² نفس المصدر، ص 62-63.

إنه سيؤدي ثالثاً - وهذا مرتبط بما سبق - إلى عملية أمركة أوروبا، أي إلى انتشار نمط الحياة الأمريكي وتغلغله فيها. وينظر بعض الكتاب الفرنسيين إلى الفرنكوفونية بوصفها وسيلة لنشر لغة فرنسا وثقافتها بل أيضاً بوصفها، كما يقولون، أداة مقاومة لنزعة الهيمنة التي يكرسها تكريسا متواصلا ادعاء اللغة الإنجليزية الأمريكية أنها ستصير لغة التواصل الوحيدة على النطاق العالمي، وأيضاً بوصفها وسيلة للدفاع أمام الهيمنة التي تمارسها "بعض القوى العظمى" من خلال وسائل الاتصال المتطورة. وعلى كل حال، فالاختراق الثقافي قائم وموجود، وتمارسه على العالم ثقافتان متنافستان: الثقافة الأنجلو - أمريكية والثقافة الفرنسية³³.

السؤال هنا الذي يلح المنجرة على طرحه بشكل مباشر هو ما مصير منظمة الوحدة الأفريقية؟ وجواباً عن ذلك أكد أن ما آلت إليه منظمة الوحدة الأفريقية هو التراجيديا بعينها، وقد توصل إلى هذا الحكم أثناء تأمله لهذا الحلم الأفريقي، وبداية وهجته الأولى وكيف غدا، ويقصد بذلك نهايته التي كانت قائمة على الحسرة والأسى. فقد ضمت هذه المنظمة في بدايتها أناساً آمنوا بالتححر الأفريقي، فاحتضنوا حلم ومستقبل القارة، أمثال ديالو تيلي، أول سفير لغينيا في الأمم المتحدة عام 1956م، أي في الفترة التي قال فيها سيكو توري لا لفرنسا بخصوص الاستفتاء المتعلق بتقرير الاستقلال أو التعاون.

وقد كان للمنجرة، وفق تصريحاته، شرف الاشتغال معه شخصياً، عندما كان عضواً في الوفد المغربي في الأمم المتحدة، ولذا قال: "أتذكر جيداً كيف كان وزير الخارجية الفرنسي آنذاك مرتعباً من الخطاب الذي سيلقيه ديالو تيلي لانضمام غينيا إلى حظيرة الأمم المتحدة. ولا يمكن تصور الرعب الذي سببته هذه الدولة الصغيرة ومندوبها في

³³ أنظر في هذا الصدد، محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، مارس 1999م، ص 178-179.

الوفد الفرنسي لأن فرنسا استشعرت تهديدا لمستقبلها الأفريقي. ولما تولى ديالو تيلي منصب أمين عام منظمة الوحدة الأفريقية، أصبحت بيننا مراسلات طويلة تتعلق بكيف ستكون هذه المنظمة وما هي آفاقها؟³⁴.

علاوة على ديالو تيلي، كان هناك طرف ثالث في هذه المراسلات، وهو المناضل المغربي المهدي بن بركة الذي كان يحلم بإنشاء مجلة أفريقية، تعنى بقضايا التربية والعلوم والثقافة، مؤكدا ضرورة التعليم، لحل مشاكل القارة الأفريقية. وفي هذا السياق قال المنجرة: "كنت قد أعددت مقالا لينشر في العدد الأول لهذه المجلة التي لم يكتب لها رؤية النور، لكن هذا المقال المهيأ عام 1963م، أفادني بعد خمس عشرة سنة، عندما كلفني نادي روما بإعداد تقرير حول التعلم، إذ اعتمدته كقاعدة لما بات يسمى بتقرير نادي روما أي "لا ننهي من التعلم" أو "لا حدود للتعلم" والذي ترجم إلى ثلاث عشرة لغة، ونشر منه مليون نسخة، وأنا في هذا مدين للراحل المهدي بن بركة، هذا المناضل الأفريقي والشخصية ذات البعد العالمي، الذي استوعب مدى أهمية التعاون جنوب - جنوب لحل إشكالية العالم الثالث، وبناء مستقبل حقيقي قوامه الموارد البشرية التي هي أهم من رأس المال المادي" أما مأل هذا الحلم الأفريقي الكبير المرتبط بمنظمة الوحدة الأفريقية فقد تبدد، وكان مصير الرموز النضالية التي امتلكت حلما تجاوز الحدود الوطنية محزنا بشكل غير متوقع؛ حيث تمت تصفية كل من ديالو تيلي وابن بركة وعديدين أمثالهم³⁵.

34 - المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق، ص 67.

35 المصدر السابق، ص 67-68.

ثالثاً: في الحاجة إلى التفكير الذاتي

بالعودة إلى موقف فرنسا من الثقافات الأصيلة فإننا ندرك أنها تتخوف منها باستمرار، فأملها أن تظل أفريقيا القارة الفرنكفونية الكبرى³⁶، وهذا التحدي كما قال المنجرة "هو الذي دفع بنا إلى مواصلة الاهتمام بقضية اللغات الأم وفعلاً وضعنا برنامجاً لكتابة هذه اللغات ونشر قواميس كتب بهذه اللغة الأفريقية أو تلك. وتواصل اهتمامي الأفريقي بالإسهام في تحرير القانون الأساسي للجنة الاقتصادية الأفريقية، كما كان لي في ما بعد شرف تحرير إعلان مونروfia الذي احتضنته ندوة انعقدت قبيل مؤتمر القمة لرؤساء الدول الأفريقية، غشت (1979م)، ومضمون هذا الإعلان الذي عرض على القمة المذكورة وصدق عليه من قبل الرؤساء هو الدعوة إلى تبني النموذج التنموي المبني على مبدأ الاعتماد على النفس وعلى فكرة التعاون جنوب جنوب، وكان من إيجابيات هذا الإعلان أيضاً اتخاذ قرار تنظيم أول مؤتمر اقتصادي على صعيد القمة انعقد في عام 1980م بـ"لاكوس"³⁷ حيث هيأ الخبراء الأفارقة برنامج العمل لإفريقيا". ويمكن أن نقف هنا عند حقيقة تتعلق بموقف البنك الدولي وبعض أوساط المساعدة الفنية الثنائية في البلدان الغربية، حيث وضعت هذه الأطراف أفريقيا أمام خيارين: إما العمل ببرنامج

³⁶ وهذا ما يؤكد مرة أخرى أن الفكر الأوروبي بنى تاريخه الذي نقرأه اليوم على أنه تاريخه الفعلي، خلال القرن التاسع عشر. وهو قرن تميز ببلوغ التوسع الاستعماري مداه وقيام ما عبّر عنه لينين بـ "الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية". وهذا النوع من الإمبريالية الاقتصادية والعسكرية والثقافية التي مارستها أوروبا على العالم منذ القرن التاسع عشر قد مارست مثلها أيضاً على التاريخ. فتاريخ الفكر الأوروبي مكتوب في هذا الأفق، الأفق الإمبريالي... لقد كان هدف لقد كان هدف العقل الأوروبي ولا يزال هو إضفاء الوحدة والاستمرارية على تاريخه. وهذه عملية أيديولوجية يجب أن ينصرف إلى فضحها النقد الذي نشعر بالحاجة إليه، نقد العقل الأوروبي من طرف عقل غير أوروبي. أنظر محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، المصدر السابق، ص 262-263.

³⁷ محمد بهجاي، حسن نجعي، المهدي المنجرة مسار فكر، (حوار، سيرة ذاتية)، ط5، مراكش: الملتقى الجديد، 2019م، ص 90.

للتنمية كما سطره البنك الدولي، أو العمل وفق برنامج العمل المسطر في مؤتمر لاكوس. وقد اتبعت أفريقيا خطة البرنامج الأول، فكانت النتائج المعروفة، الأمر الذي دفع مسؤولو الدول الأفريقية عام 1995م إلى تأكيد فشل النموذج التنموي للبنك الدولي. وبعد لاكوس، طلب من المهدي المنجرة أن يحضر وينسق لمؤتمر أفريقي آخر خاص بالتعاون الفني بين الدول الأفريقية، وهكذا اشتغل طيلة عام 1981م لتهيئ هذا المؤتمر الذي انعقد بنairobi في نفس السنة. وهنا لا يمكن أن نغفل ما كان يردده المنجرة من اشتداد حملة البنك الدولي والأوساط التابعة له، بهدف محاربة كل حل تنموي مبني على التفكير الذاتي أو منطلق من البراعة والخلق الأفريقيين، وقد استمر هذا الضغط، لتتخطى أفريقيا بشكل أعمى في تقليد النموذج الغربي، وقد كان من نتائج هذا الضغط أن وصلت أفريقيا إلى الوضعية الراهنة التي لا يمكن تجاوزها ما لم يتم التعبير عن رد فعل جديد، والشروع في تعاون وتفكير جديدين.

بهذا القصد، انعقد عام 1995م باليونسكو اجتماع للتفكير في تنمية أفريقيا، شارك فيه المنجرة الذي يعتقد في هذا السياق، أنه لا ينبغي فقط تفسير فشل كل دول أفريقيا، وبدون استثناء، بالاكْتفاء باتهام الآخر، بل إن الأوضاع المحلية في هذا البلد الأفريقي أو ذاك، تسمح لمثل هذه الضغوط الأجنبية بالنجاح، بحكم أن أحوال هذه الأوضاع لا تحترم الحرية والإبداع والديمقراطية، ولا تولي أي أهمية للبحث العلمي والتربوي. ولذا ركز في حديثه عن هذا الأمر على ضرورة تغيير المناخ السائد وتغيير الأولويات، ولذا دعا أولاً إلى محاربة الأمية، فمن غير المقبول، بنظره أن تشكل الأمية في هذه القارة نسبة قياسية تصل إلى 55%. كما أن هناك ميزانيات محدودة جداً للبحث العلمي. وسعياً إلى البحث عن مخارج لتلك الأزمة السائدة في أفريقيا، قال المنجرة "أظن أنه آن الأوان اليوم وبعد أكثر من 35 عاماً من استغلال أفريقيا، لتحليل مكامن الفشل وللتفكير في انطلاقة

تنموية جديدة، وهو المشروع الذي لا يمكن أن يتحقق إلا في مناخ يحترم الحريات الشخصية والعامة"³⁸.

لننتقل الآن إلى مسألة أخرى، مرتبطة بموقف المهدي المنجرة من الغرب، وما يرفعه هذا الأخير، من فكرة الصدام أو الصراع الحضاري.

ومن هنا يمكن أن نتساءل عن الفرق بين "الحرب الحضارية" و"التعدد الحضاري" أو "التفاعل الحضاري" في تصور المهدي المنجرة.

رابعا: من "الحرب الحضارية" إلى "التفاعل والتعدد الحضاري"

خصصت مجلة (The Economist) حيزا مهما بصفحاتها للحديث عن "الإسلام والغرب"، وفي ثناياها يوجد مقال طويل، ومما جاء فيه حسب المهدي المنجرة أن الحرب الباردة قد انتهت، وهي حرب أيديولوجية، ففي المستقبل ليس هناك إلا نزاع يمكن أن يتوقعه الإنسان، وقد بدأ فعلا، وهو النزاع بين الإسلام والعالم اليهودي المسيحي. أما التاريخ الرسمي لهذا النزاع، فهو العهد الأخير، والاتفاق الذي تم في باريس بين رؤساء دول أوروبا كلها بحضور الرئيس الأمريكي، وهذه الاتفاقية في صميمها، وضعت نهاية الحرب الباردة والحرب الإيديولوجية داخل واقع حضارة موحدة لأوروبا الشرقية والغربية ذات نفس القيم، وهي بالتحديد قيم يهودية مسيحية. ويجد المنجرة أن عهد هذا النزاع له مؤشرات، وقد نبه إلى هذا الأمر منذ سنين، حيث قال أنه "منذ 1976م وأنا أقول إن الحروب المقبلة ستكون قبل كل شيء حروبا حضارية ثقافية، فيها المصالح الحضارية أكثر مما هي اقتصادية وسياسية...وها قد دخلنا في هذا العهد، ويجب على كل إنسان في العالم الثالث مسلما كان أو غير مسلم، أن يفهم أن الخطر الموجود الآن هو الهيمنة

³⁸ المصدر السابق، ص 91-92.

الحضارية"³⁹. فالعالم يشهد تنامي تيارات تعطي قيمة أكبر للأمور غير المادية مثل القيم الحضارية، وخاصة منها العنصر الروحي، وهذه الحركة لا تخص العالم العربي والإسلامي، بل هي حركة كونية، تعتبر أحد المداخل الضرورية لفهم التغيرات، التي تنتظر الإنسانية على المدى القريب⁴⁰.

ولن يسمح الغرب لأي دولة من العالم الثالث، سواء كانت صغيرة أو متوسطة، أن تكون بإمكانات علمية تكنولوجية عسكرية باستثناء إسرائيل، فهي بنظره الوحيدة التي تملك "الحق في أن تتطور علميا وتستعمل الأسلحة وتحصل على مساعدات ووسائل معاصرة من أحدث ما يوجد، وكذا مليارات الدولارات سنويا، لكن إذا كانت بلاد أخرى كيفما كانت في العالم الثالث، وخاصة إذا كانت عربية أو مسلمة. لن يسمح لها أن تصبح بإمكانات لأن تتحاور على مستوى الدول الوسطى مثل ما نجد في أوروبا. فالهدف الثاني في الخليج هو أن تلك البلاد "العراق" التي ضحت وقامت بمجهود في البحث العلمي ووصلت إلى نوع من المستوى يجب أن تكسر، هذا هو الهدف الثاني، ولا يمكن لهذا الغرب أن يعطي دروسا لأي أحد، لا في الديمقراطية ولا في حقوق الإنسان ولا في أي شيء"⁴¹. وغير خاف أن إسرائيل الحليف الراسخ المرتبط بالولايات المتحدة الأمريكية عضويا ومصيريا⁴²، والصهيونية في جوهرها "ثمرة من ثمار العقل الأوربي، ومظهر من مظاهر حضارته، كالفاشية والنازية والشيوعية وغيرها". ومن ثم فإن الكيان الإسرائيلي رغم أنه يعكس طموحات توراتية، ويدعي تحقيق نبوءات دينية، تقوم على وعد إلهي لبني

³⁹ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، المصدر السابق، ص 20-21.

⁴⁰ المهدي المنجرة، حوار التواصل، ط1، كتاب شهري، العدد الأول، دم: سبريس، شوال 1416هـ- مارس 1996م، ص 72.

⁴¹ نفس المصدر، ص 22-23.

⁴² الجميل سيار، العولمة الجيدة، العولمة الجديدة، والمجال الحيوي للشرق الأوسط مفاهيم عصر قادم، ط 1، بيروت:

مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1997م، ص 53.

إسرائيل، فإنه يشكل الخندق الأساسي للدفاع عن المصالح التي تسعى إليها الإستراتيجية الغربية، ومن بينها منع قيام وحدة في العالم العربي الإسلامي⁴³. وتعد حرب 1967م، الحجة الأساسية، في إقناع رأس المال العالمي بخصوص قوة إسرائيل، والمراهنة عليها اقتصاديا، لذا انتهالت المساعدات المالية على إسرائيل، بشكل أساسي، بعد هذه الحرب، بحيث تجاوزت المعونات الأمريكية عام 1968م مجمل المساعدات المالية التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل، ما بين 1948م و1967م، كما تدفقت الاستثمارات المالية إلى إسرائيل، وبعد أن كانت جزءا من الاعتبارات السياسية الغربية في منطقة الشرق الأوسط. وفي إستراتيجيات المواجهة مع العالم الإسلامي، انضمت إسرائيل بعد حرب 1967م بالتدريج إلى السوق الرأسمالي العالمي، وأخذت تصارع لاحتلال موقع لها في التقسيم الدولي، ولذا يبدو أن حرب 1967م هي المناسبة التي قامت فيها دولة إسرائيل كدولة حديثة⁴⁴.

خامسا: هل التكتل الشرق أوسطي مشروع استعماري؟

في كنف العملية التفاوضية بين العالم العربي الإسلامي وإسرائيل، نشأ وترعرع مشروع الشرق الأوسط الكبير، وقد انطلقت تلك العملية من مدريد في تشرين الأول / أكتوبر 1991م؛ حيث اتخذت مسارين متوازيين: أحدهما ثنائي بين إسرائيل والأطراف العربية المعنية (السلطة الفلسطينية، الأردن، سوريا، لبنان). وثانيهما جماعي يضم دولا من داخل المنطقة وأخرى من خارجها، وذلك من أجل إقامة ترتيبات إقليمية جديدة

⁴³ محمد السماك، محمد السماك، موقع في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، ط 1 بيروت: دار النفائس، 1415هـ-1995م، ص 25.

⁴⁴ عزمي بشارة، وآخرون، العرب والعملة، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، حزيران يونيو، 1998م، ص 284-285.

تتعلق بالحد من التسلح والأمن الإقليمي وتسوية قضية اللاجئين والمياه والبيئة، والتعاون الإقليمي، وتشكل المفاوضات المتعلقة بالتعاون الاقتصادي أكثر المفاوضات التي تسترعي الانتباه؛ حيث تم عقد المؤتمر الاقتصادي لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أو المعروف باسم "ميناء" أربع مرات، أولها في الدار البيضاء عام 1994م، والثاني في عمان عام 1995م، والثالث في القاهرة عام 1996م، والرابع في الدوحة عام 1997م. ومن سمات مشروع الشرق الأوسط الكبير، تفتيت فضاءه الجغرافي، فهو يضم إقليم الشرق الأوسط بمعنى ضيق، حيث لا يشمل العراق وإيران اتباعا لسياسة الاحتواء المزدوج التي تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية، أما الإقليم الثاني الذي يمثلته المشروع الشرق أوسطي، فهو دول الشمال الإفريقي.

ولا يخلو المشروع المتوسطي من فلسفة التفتيت والاستعباد، وتتجلى معالم ذلك من خلال الاطلاع على نتائج مؤتمر برشلونة المنعقد في تشرين الثاني نوفمبر عام 1995م، فالمشروع "الشرق أوسطي" لا يضم جميع الدول المشاطئة للبحر المتوسط، وعلى سبيل المثال استبعدت ليبيا من المشروع المتوسطي، في حين انضمت دول أخرى غير مشاطئة مثل موريتانيا والأردن، و الثابت أن هذه الترتيبات الإقليمية الجديدة، تتم في إطار عملية تسوية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي، بما يتضمن، قبول إسرائيل عربيا، وهذا يدل على تجاوز القضية المركزية في العالم الإسلامي، وهي القضية الفلسطينية⁴⁵، وقد أفصح عن ذلك المهدي المنجرة بقوله إن "الترويج للنظام الشرق أوسطي الجديد هو وسيلة للتغطية على عدة مشاكل تشهدها المنطقة، المشاكل الفلسطينية، ومشاكل أخرى"⁴⁶.

⁴⁵ حمدي عبد الرحمن حسن، وآخرون، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، دط، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، دت، ص 91-92.

⁴⁶ المهدي المنجرة، القدس رمز وذاكرة، ط 1، مراكش، دار وليمي، 1996م، ص 217.

إذا كان التصور الإسرائيلي، يسعى إلى التكامل الاقتصادي، بين دول الشرق الأوسط الجديد، فإن التصور الأمريكي، هو تصور مكمل للتصور الإسرائيلي، القائم على دعمتين أساسيتين. تركز الدعامة الأولى على الانفتاح الاقتصادي الكامل على العالم بصفة عامة، وعلى منظمة الشرق الأوسط بصفة خاصة؛ حيث تشمل الدول العربية وغير العربية وإسرائيل. وهذا الانفتاح يقوم على نطاق السوق والتجارة الدولية الحرة المتعددة الأطراف، ومن ثم التحكم الأمريكي في نفط الخليج.

بينما تركز الدعامة الثانية على التعاون الإقليمي المتعدد الأطراف، الذي يستند إلى الانفتاح الكامل بين دول المنطقة تجارياً، وتشكيل تجمع إقليمي شرق أوسطي، حيث تشكل إسرائيل مركزاً متفوقاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. أما فيما يتعلق بالتصور العربي والإسلامي، فإنه ينقسم إلى تصورين: التصور الأول، تمثله بعض المجموعات العربية الإسلامية الحاكمة التي ترى أن مشروع "التكتل الشرق أوسطي"، مشروع للمنافسة الحضارية بين العرب وإسرائيل، بحيث يجب توفر رابط إقليمي بين السلام من ناحية وبين التنمية من ناحية أخرى. أما التصور الثاني، فيتشكل من المجتمع الإسلامي الذي يرى أن مشروع "التكتل الشرق أوسطي" مشروع استعماري، وتحاول إسرائيل من خلاله الولوج إلى اقتصاد العالم الإسلامي، وإمكانياته والسيطرة عليه.⁴⁷ وهذا ما قاد المنجرة إلى التأكيد بأن "فكرة التجمع أو التكتل هي ضرورة هذا جانب أول. أما الجانب الثاني فهو سياسي حضاري والإثنان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، لذلك فإنه غير ممكن لأي تجمع في الشرق الأوسط الذي لا يتقيد برؤية مشتركة وبأهداف مشتركة وبقيم ثقافية

⁴⁷ مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، المأزق العربي قراءة في القضايا العربية المعاصرة، ط 1، الإمارات: مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، 2003م، ص 209.

مشتركة أن ينجح"⁴⁸. لذا يمكن التوصل في نهاية المطاف إلى أن المشروع الصهيوني الإسرائيلي، يروم إعادة تفكيك العالم الإسلامي، وفق مصالحه المتأخية مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي تقود النظام العولمي الإمبريالي، والذي لا يسعى إلى إبداع قرية كونية واحدة، تجتمع فيها البشرية على أسس العدالة، بل إلى الهيمنة على الكرة الأرضية كلها.⁴⁹

سادسا: صدام الحضارات بين الوقائية والتوجهات العدائية

بالعودة إلى ما أثرناه سابقا، يمكننا التأكيد مرة أخرى بأن المنجرة يؤمن بسيناريو بناء نظام عالمي، جديد قائم على حضارات مختلفة، وهو بنظره أمر ممكن، وبإمكانه أن يرى النور، لكنه مازال سابقا لأوانه بعض الشيء، شأنه شأن التنبؤات الجديدة، وهو بذلك لا يتعارض مع ما أشار إليه رئيس "نيرا" في موضع آخر؛ حيث قال "إن تحديث اليابان قد بين بوضوح أن التحديث لا يعني التغرب" - من الغرب -⁵⁰، ورغم أن المنجرة يتبنى هذا الموقف، فإنه في ذات الوقت لا يدعو إلى محاربة الحضارة الفرنسية أو الإنجليزية أو الأمريكية أو الألمانية، كما يمكن أن يتبادر إلى ذهن البعض، فهو بعيد كل البعد عن أي موقف عنصري، لكونه يحترم كل إبداع وابتكار في أي ميدان كان، ويعتبر كل الحضارات السالفة الذكر وغيرها جزءا من الحضارة الإنسانية المشتركة، ويظهر أن ما يحاربه يتعلق بكل ما من شأنه استغلال ثقافة أو حضارة أو لغة معينة ليس للتعاون الفكري والأدبي،

⁴⁸ المهدي المنجرة، القدس رمز وذاكرة، المصدر السابق، ص 216.

⁴⁹ طيب تيزني، المصدر السابق، ص 67.

⁵⁰ المهدي المنجرة، حوار التواصل، المصدر السابق، ص 43.

وإنما لغرض سياسي ثقافي معين، وبالخصوص محاربة حضارة وثقافة أخرى⁵¹، كفكرة صدام الحضارات التي أطلقها صاموئيل هنتنجتون في كتاب يحمل العنوان نفسه⁵²، ومن مساعي أطروحاته إثارة عدد من الإشكالات حول علاقة العولمة بالهوية، وليست مصادفة أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية الزعيم الوحيد للنظام العالمي الجديد، مصدر هذه المقولات الأيديولوجية التي تحاول أن توقف التاريخ عند انتصار النظام الأمريكي على نظيره السوفيياتي السابق، والقفز على مقولة لآرنولد توينبي العلمية، المعروفة حول التحدي والاستجابة في مجال تفاعل الحضارات. ومن خلال قراءة متأنية لفكرة صدام الحضارات، يبدو أن الأفكار التي حاولت الترويج لها تنطلق من مقولة فوكوياما حول نهاية التاريخ، وهي ذات بعدين اثنين، واحد يشير إلى أن التاريخ انتهى إلى قمته فيما يخص البدائل والرهانات التاريخية؛ بحيث لم يعد ممكناً أن يتجاوز النظام الأمريكي الرأسمالي. أما البعد الآخر فيقوم على أن الزمن التاريخي لن يتوقف في هذا النظام الأمريكي، ولكنه لن يكون قابلاً لإنجاز عملية التجاوز، فهو نظام يجدد نفسه من داخله، ويعيد

⁵¹ هنا يمكن الأخذ بعين الاعتبار أن هناك أكثر من غرب، أي كان تعريفه وحدوده، فهو ليس عدواً ولا صديقاً؛ بل فيه العدو والصديق وهو ليس ضرراً أو نفعاً، بل فيه النفع وفيه الضرر، كذلك ليس الغرب شراً دائماً كما أن الشرق ليس خيراً فقط، ففي كل منهما الخير والشر. الغرب ليس كله شياطين، كما أننا لسنا كلنا ملائكة. أنظر، حازم الببلاوي، نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي، ط 1 القاهرة: دار الشروق، 1420هـ-1999م، ص 35.

⁵² يمكن اختصار نظرية هنتنجتون بأن النظام العالمي السابق كان يقوم على صراع بين ثلاث قوى رئيسية: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيياتي والعالم الثالث. أما النظام العالمي الجديد - نظام ما بعد الحرب الباردة - فيقوم على صراع بين ثماني حضارات. هذه الحضارات هي: الحضارة الغربية، واليابانية، والكونفوشية والهندوكية والأمريكية اللاتينية والأرثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية، وفي اعتقاده أيضاً أنه يمكن أن تضاف إلى ذلك الحضارة الإفريقية. وهو يرى أن الانتماء إلى حضارة ما، يتعدى الفوارق الأثنية والحدود الوطنية. وأن الحضارات الثماني الكبرى تخترن قوى الصراع المستقبلي. وعلى هذا الأساس فهو يرى أن حروب المستقبل سوف تجد جهات لها في نقاط التماس بين الحضارات، وخاصة بين الإسلام وكل واحدة من هذه الحضارات على حدة. محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، دط، دم: دار النفائس، 1995م، ص 153.

إنتاج ذاته دونما تغيير لطابع النظام الجوهري⁵³. وبالعودة إلى أطروحة فوكوياما عن نهاية التاريخ، فإننا نلمح بأنها تقول ما كانت تعتقده الإيديولوجية البورجوازية في القرن التاسع عشر، وما لاحظه كارل ماركس في البيان الشيوعي، وهو أن العالم الذي تبنيه بسيطرتها هو أفضل العوالم، ولكنها تقوله هذه المرة بقوة أكبر وثقة أعمق، بحكم أن ما تقوله يأتي ردا على موجة التشاؤم التي انتشرت في القرن العشرين حول التقدم السياسي والاجتماعي للبشرية.

في ظل النظام العالمي الجديد، يزعم هنتنجتون أن المصدر الأساس للنزاعات لن يكون مصدرا أيديولوجيا أو اقتصاديا، بحكم أن الانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا، وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون خطوط المعارك في المستقبل، وسيكون النزاع بين الحضارات هو المرحلة الأخيرة في تطور النزاع في العالم الحديث، وإذا عدنا إلى التاريخ فقد عرف صراعا بين الحضارات، ويمكن أن تندرج حروب الإغريق مع الفرس تحت هذا العنوان، وكذا حروب العرب والإسلام مع الروم أو الفرس، ونفس الشيء ينطبق على الحروب الصليبية، وحروب الإسبان مع سكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر، ويمكن أن تتعدد الأمثلة.

ولا تقل الحروب والصراعات بين دول وجماعات داخل الحضارة الواحدة عددا أو خطورة عن الحروب بين الحضارات، بل لعلها تزيد. ويكفي أن نستحضر تاريخ أوروبا - والمفروض أنها تنتهي إلى حضارة واحدة - فهو تاريخ حروب وصراعات لم تنقطع في أي فترة على مدار التاريخ القديم والحديث. فالحروب بين أثينا وإسبرطة التي خلدتها كتابات

⁵³ طيب تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي باتجاه مشروع نهوض عربي تنويري جديد، مجلة عالم الفكر، ع3، المجلد 29، يناير- مارس 2001 ص: 49-73.

ثيوديدس وخطب بيركليز لا تحتاج إلى بيان. ورغم هذا فإن كلا من أثينا وإسبرطة، ومن تحالف معهما من المدن الإغريقية، ينتمون جميعا إلى الحضارة الهيلينية، ويتحدثون نفس اللغة، ويعبدون نفس الآلهة. وقد استمر تاريخ أوروبا في حروب متصلة، لعل أشهرها الحروب الدينية وحروب نابليون والحروب العالمية، وهي في حقيقتها حروب أوروبية.

ليست الحضارة الأوروبية وحدها ضحية الحروب والصراعات بين الأتقاء، بل إن هذا الأمر عام وشامل، بحكم أن الدولة الإسلامية كما عرفت نزاعات وحروباً مع حضارات أخرى، خضعت - ربما بشكل أعنف - للصراعات الداخلية، الأمويون مع الهاشميين، والعباسيون مع العلويين، والفاطميون مع العباسيين، السنة مع الشيعة، والعثمانيون مع المماليك، ولعل أقرب الأحداث إلى أذهاننا هو غزو العراق للكويت، وقبلها حرب العراق مع إيران، وهي جميعاً دول إسلامية؛ ومن ثم فالتاريخ لا يساعد عملياً في دعم فكرة صراع الحضارات، على اعتبار أن الصراع موجود دائماً بين الحضارات كما هو موجود داخل الحضارة الواحدة.

وعادة ما ينشأ الصراع إذا وجد تعارضاً في المصالح أو في العقائد، دون توافر وسيلة للتصالح السلمي حولها، ويشكل الاستغلال والتعصب أساس الصراع، سواء داخل الحضارات أو فيما بين الحضارات. فالمشكلة إذن ليست مشكلة حضارات مختلفة بقدر ما هي مشكلة استغلال أو تعصب، سواء كان هذا حقيقياً أو كان متصوراً.

فالصراع سواء من أجل فرض المصالح والعقائد أو مقاومتها قضية مستمرة، وليست معركة واحدة فاصلة، فثمة دائماً أقوياء، يحاولون فرض مصالحهم وعقائدهم، وستظل هناك دائماً مقاومة ومعارضة لهم، ويستمر التاريخ وتتابع الملحمة الإنسانية في سبيل مزيد من التحرر. وقد شكل غياب رؤية العالم في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، جانبا

من جوانب الأزمة في علاقتنا بالعالم؛ وهذا صراحة ينم عن قصور معرفي شديد يقع في أصل هذه الأزمة المتفجرة، ويشمل ذلك الوعي بالعالم وطرائق التعبير عنه. فالقصور المعرفي، كيفما بلغت درجته هو الذي يدفع للوقوع في فخ صامويل هنتنغتون أو غيره، باللجوء إلى الدفاع عن حضارتنا، باعتبارها حوارية وإدانة الأخرى، لأنها غير حوارية. فالحضارات تقوم بينها علاقات فيها الصراع، وفيها التواصل والتقابس في الوقت ذاته؛ لكنها ليست فاعلا حاضرا ومباشرا في التصرفات السياسية والاقتصادية والثقافية⁵⁴.

قبل ظهور أطروحة المفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون، خاض المنجرة في موضوع الصدام بين الحضارات وحرب الثقافات، ومعروف أن هنتنغتون اعترف له مبدئيا بهذا السبق، والقصة تبدأ من استجواب أجرته المجلة الألمانية دير شبيغل مع المنجرة في فبراير 1991م، وفيه وصف حرب الخليج بأنها حرب حضارية أولى، وفصل من فصول صراع قادم بين الشمال والجنوب، وبعد ذلك عام 1992م، صدر للمهدي المنجرة كتاب بالعربية حول الموضوع ذاته، تحت عنوان "الحرب الحضارية الأولى"؛ حيث خصص الفصل الثاني منه للإشكالية المذكورة، ومما جاء فيه: "يعترف هنتنغتون في الفصل العاشر من كتاب "صدام الحضارات"، أنني كنت أول من استعمل عبارة "الحرب الحضارية"⁵⁵، فهو لا يكتفي بالاعتراف بدور القيم الثقافية في اندلاع الأزمات والحروب المقبلة، بل إنه يسمي الأمور بأسمائها، ويحدد المناطق التي ستدخل قيمها في صراعات مع القيم اليهودية المسيحية، والتي تمثل بنظره خطرا على المستقبل⁵⁶. وهو ينظر إلى أن

⁵⁴ هذا ما ذهب إليه رضوان السيد وغيره. أنظر، رضوان السيد، الصراع على الإسلام، الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1425هـ-2004م، ص21-22.

⁵⁵ Mahdi ELMANDJRA, HUMILIATION A L'ère du méga-impérialisme, 1ère édition 3 octobre 2003, 2 imt édition 30 octobre 2003, p52.

⁵⁶ المهدي المنجرة، قيمة القيم، المصدر السابق، ص12.

"حرب القيم لا تعني بالضرورة حرباً بين الديانات"؛ بحكم أن الكثير من الأشخاص الذين يدافعون على نظم القيم الحضارية ليسوا بالضرورة ممارسين لديانات تلك الحضارات، ولسنا بحاجة إلى ذكر أو التذكير بتصريحات مسؤولين كبار في العديد من الدول الغربية، والذين لا يترددون في الإساءة إلى النظم والقيم الأخرى، كما فعل ذلك رئيس الحكومة الإيطالي الأسبق سيلفيو برلسكوني، ففي أكتوبر 2001م، انتقد بشكل لاذع ومثير للجدل الإسلام؛ ودون أدنى احترام لأكثر من مليار ونصف من مسلمي العالم، قال أنه "بحكم تقدمه الكبير، فإن الغرب مؤهل لتغريب، وغزو شعوب جديدة"⁵⁷. وقد استعمل المهدي المنجرة صيغة الحرب الحضارية، بشكل مختلف عما ذهب إليه هنتنجتون، لذا قال: "أنا وقائي، بينما هانتنجتون يقول إن الخطر سيأتي من العالم غير اليهودي - المسيحي، وهذا خطاب يستند إلى الدفاع عن النفس ويمكن فهمه على الأمد الطويل ضمن الدراسات المستقبلية، فحين حدث التدخل ضد العراق، وليس العراق الهدف - فلنقل الأشياء كما هي - وإنما كان التدخل ضد الإسلام، صار الغرب في الحقيقة في موقف الدفاع عن نفسه"⁵⁸. ويبدو أن موقف المنجرة، المتعلق بالحرب الحضارية ليس موقفاً آنياً، فهو نتاج تجربته الفكرية والميدانية كلها، ويمكننا أن نتوقف عند هذه الحقيقة في قوله: "لقد هاجرت نحو بلاد الغرب وعمري خمسة عشر سنة. ثم مكثت أربع سنين في إنجلترا حيث أعددت الدكتوراه، واكتسبت خلالها ثقافة عن تاريخ الغربيين وماضيهم وجغرافيتهم، وهو ما جعلني منفتحاً على جميع الحضارات، وهو عنصر القوة في تكوين الشخصية الإسلامية التي لا تؤمن بالحدود الجغرافية أو الثقافية في التواصل بين الناس، ولكن

⁵⁷ نفس المصدر، ص12.

⁵⁸ المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ط5، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2007م، ص171.

للأسف الشديد نجح الغربيون في أن يقسمنا أطرافا وشيعا، وهم اليوم يعودون إلى الفكرة الإسلامية ليوحدوا بجوهرها صفوفهم كي يصيروا أمة، كمثال الأمة الأوروبية".⁵⁹ ومن دواعي نشر هنتنجتون كتابه الذائع الصيت الذي يتطابق اسمه مع اسم الأطروحة، رغبته في الإدلاء بكيفية غير مباشرة في فرضية "نهاية التاريخ وانتصار الثقافة الغربية" وبلا خلاف، فهو يعتبر فوكوياما - صاحب الفرضية المذكورة - مفرطا في تفاؤله، وفي تصوره لعالم الغد الذي ستنتشر فيه الديمقراطية والليبرالية الغربية حتما. ويبرئ مصطلح "صدام الحضارات" الوعي العام لما سوف يكون، بدلا من أن يصف ما هو كائن بالفعل، وهذا ما يمكن أن نصل إليه من خلال التدبر في أفكار هنتنجتون التي تدل على توظيف الخطاب الأكاديمي في توجهات سياسية، تروم بشكل واضح، إفساح مكان لتطلعاتها في خارطة التوجهات السياسية للقوى الكبرى، وأشكال أدائها السياسي، سيما في العلاقة بين العالم الغربي والعالم العربي الإسلامي، نظرا لما يملكه هذا الجانب من اختلاف في قوته العقائدية وموارده الاقتصادية وأفكاره التي يمكن لها أن تطرح إسهاماته المختلفة في الحراك الثقافي العالمي. ومهما يكن من أمر، فمصطلح صدام الحضارات، يخفي توجهها عنصريا يخاصم الهويات الثقافية الأخرى، ساعيا إلى طرح نموذجها الخاص دون مراعاة لخصوصيات هويات ثقافية مختلفة، مفضلا الصدام على التفاعل، ومتخوفا من الإسلام وقيمه العليا، وليس مستغربا أن يرى العالم الغربي أن محض الاختلاف بين قيمه التي يؤمن بها وبين قيم هويات ثقافية أخرى مختلفة عنه، يعني حالة من تخلف الآخر مقارنة بتقدمه؛ وكأن تقدمه التكنولوجي دليل على الصحة المطلقة لمنظومة قيمه، وقد ظهرت هذه التصورات في التوجهات العدائية التي تبرز في ممارسات

⁵⁹ المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، المصدر السابق، ص 173.

ثقافية، وقد كان التوجه نحو الصدام يربط المناخ السياسي القائم على ضرورة أخذ الحذر من أي هوية تنتمي إلى هذه الدائرة⁶⁰. ورغم أن هنتنغتون نال حصة الأسد من الانتباه، فإن برنارد لويس⁶¹ كتب في موضوع اختلاف وصراع الحضارات قبله بعقود، وفي ذروة السيطرة الإمبريالية الاستعمارية على الشرق الأوسط عام 1950م، ادعى لويس أن على العرب أن يحلوا مشاكل تأقلمهم مع العالم المعاصر بقبولهم لواحد أو لآخر من النسخ المتنافسة للمدنية المعاصرة المقدمة إليهم، بمزج ثقافتهم الذاتية وهويتهم بكامل المدنية المسيطرة. وبعد عقد من هذا الرأي حوّل برنارد لويس أزمة الحضارات التي تواجه هذا العرض إلى صدام بين الحضارات، أي عندما تصطدم الحضارتان إحداهما ستتغلب والثانية ستتحطم.

فعلا، بعد عقود ثلاثة، عاد برنارد لويس إلى الموضوع فكتب: "نحن نواجه الآن مزاجا وحركة أعلى بكثير من مستوى المواضيع والسياسات والحكومات التي تتبعها، وهذه لا تقل عن صدام حضارات، ربما هي غير معقولة، ولكنها بالتأكيد ردة فعل تاريخية لعدو قديم ضد إرثنا اليهودي-المسيحي، ضد حاضرتنا العلماني والتوسع العالمي للاثنتين معا"⁶². فالغرب حسب المهدي المنجرة "يريد أن ينصب اليوم نفسه معلما في الديموقراطية وحقوق الانسان، وفي شروط المجتمع المدني لم يكن قبل بضع سنين يؤمن بصلاحيته تطبيقها داخل مجتمعاتنا، وداخل العلاقة التي كانت تربطنا به حين كنا نحن المستعمرين وهو المستعمر، هذا بالإضافة إلى بعض القيم اليهودية المسيحية التي يحاول الغرب فرضها على دول الجنوب، دون احترام منه لمبدأ الاختلاف والتعدد، سواء تعلق الأمر

⁶⁰ حازم الببلاوي، المصدر السابق، ص42.

⁶¹ أستاذ فخري بريطاني-أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون ومستشرق يهودي.

⁶² جيرمي سولت، تفتيت الشرق الأوسط، تاريخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي، ترجمة الدكتور نبيل صبيحي الطويل، ط1، سوريا: دار النفائس، 1432هـ-2011م، ص30.

بحضارات مثل الحضارة العربية الإسلامية، أو بالحضارات الإفريقية والآسيوية اليابانية والصينية وغيرهما، أو بحضارات أمريكية لاتينية...". فدل الغرب التي تمثل اليوم 20% من سكان العالم تستغل أكثر من 80% من ثروات العالم، و20% من سكان العالم، يريدون فرض حضارتهم على حضارات 80% من سكان العالم. ولهذه الأسباب خلص المنجرة إلى أن الغرب لا يمكن أن يكون ديمقراطيا، ما لم يؤمن بالاختلاف والتعدد الحضاري والثقافي بدل أن يمارس هيمنته اللغوية والفكرية، ولا يمكنه أن يكون ديمقراطيا، ما لم يتم إعادة توزيع الثروات العالمية توزيعا عادلا وطبيعيا⁶³، مما يحتم علينا إعادة النظر بدقة في علاقة الشمال بالجنوب.

سابعا: من أجل تواصل بين الشمال والجنوب

طلبت جريدة "لوموند" الفرنسية من المهدي المنجرة، غداة مؤتمر كانكو عام 1981م، أن يكتب عن "الحوار شمال- جنوب"، وكانت الأفكار التي عبر عنها ذات قيمة، ولربما أكثر قيمة، "ومفادها أن مشاكل التنمية هي بالأساس مشاكل بنيوية، وأن الاستثمار الأجنبي والمساعدة والصدقة لا تخرج عن كونها وسائل للتقويم. بمعنى أن النظام الدولي هو الذي يخلق ما يمكن تسميته اللاعدالة وينميا على المستوى السوسيو-اقتصادي، ويفرض تدابير قهرية في الحقل النقدي، يحتفظ بالممارسات المؤسساتية المتجاوزة، يقوي المبادرات السياسية والعسكرية الأحادية، ويتصرف بطريقة مركزية في الحقلين العلمي والثقافي". فالكلمات الآتية: "التنمية" و"الحوار" و"السلم"، كما أكد المنجرة هي كلمات كانت في الستينات والسبعينات مترادفة بالنسبة للذين كانوا يظنون أن التعاون الدولي، من خلال المنظمات الدولية، سيسهل عملية بناء عالم أكثر عدلا. وبالتالي فعالم

⁶³ أنظر المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ط1، مصر: مكتبة الشروق، غشت 1995م، ص12.

الاستغلال والمحن والمعاناة الذي ميز المرحلة الاستعمارية، كان من المفروض أن يعوض ببناء نظام دولي جديد وعادل، والحق أن العلاقة بين هذه الكلمات الثلاث، بنظر المنجرة، أصبحت متجاوزة وبدون معنى بالنظر إلى المفارقات الكبرى بين التطلعات والالتزامات التي كانت سائدة من ناحية، والنتائج المؤسفة والضعيفة من ناحية أخرى. ولذا فكلمة "التنمية" على الساحة الدولية، أصبحت بالنسبة للعديد من الملاحظين مفهوما متجاوزا⁶⁴. وهنا يلح المنجرة على طرح السؤال التالي: كم هو عدد الدول في العالم الثالث التي تمنى شعوبها في العودة إلى الظروف السائدة خلال العقود القليلة الماضية؟ وجوابا عن ذلك، أكد بأن ليس هناك أدنى مديح لتلك المرحلة الاستعمارية التي مثلت إحدى الصفحات الحالكة في التاريخ، لكن هذا السؤال يحيل مباشرة إلى المسؤوليات الملقاة على عاتق متخذي القرار بهذه الدول، العام منهم والخاص سواء بسواء، لقد أفقروا شعوبهم. واللافت أن تفاصيل هذه "التنمية" مكنت شريحة قليلة من المترفين من الاغتناء دون حساب، في الوقت الذي نجد فيه أن مؤشرات الحياة للأغلبية الساحقة من السكان تتدنى، لدرجة خطيرة سنة بعد سنة. الجزء الكبير من المسؤولية في ذلك يعود للجنوب، لكن ذلك لم يكن له أن يتحقق لولا الدعم والصمت والتواطؤ الذي ميز نظراءهم بالشمال⁶⁵.

يحسن بنا أن نؤكد هنا، بأن لا أحد ممن يجيء من الغرب، لغزو دول العالم العربي والإسلامي، يصرح بالطبع بنياته وبواعثه الحقيقية، فمنذ أكثر من مائتي عام جاء نابليون بونابارت إلى مصر، وحاول أن يطمئن الجميع بأنه صالح، وأنه إنما جاء إلى مصر مدفوعا فقط بالرغبة في نشر مبادئ التنوير. وعندما جاء الأمريكيون بعد ذلك بمائة وخمسين

⁶⁴ المهدي المنجرة، انتفاضات في زمن الديمقراطية، ط3، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2006م، ص 36.

⁶⁵ نفس المصدر، ص 36-37.

عاما، ادعوا أنهم يأتون معهم للمنطقة لتحقيق التنمية الاقتصادية. وكذلك عندما قدم الإسرائيليون أنفسهم إلى العالم العربي والإسلامي فعلوا ذلك، تحت لواء ما أسموه بـ"عملية السلام"، على الرغم من أن المفروض أن يكون من الواضح للجميع أن السلام كان منتشرًا بالمنطقة، بدرجة لا بأس بها على الإطلاق حتى جاؤوا هم إليها.

والآن، بعد انقضاء مائتي عام من التجارب في "التقدم الاقتصادي" و"الاستغلال الاقتصادي" و"الاغتراب الحضاري والثقافي"، وصلنا إلى نقطة، لم يعد فيها من الصعب أن نتكهن بما يمكن أن تسفر عنه هذه الحقبة الجديدة من "التغريب" التي يسعى الإسرائيليون إلى الإمساك بزمامها⁶⁶. وبنظر المنجرة، فالصراع بين إسرائيل والعرب، ليس صراعا بين يهود ومسلمين، بقدر ما هو صراع بين قيم سياسية وثقافية وحضارية، فإسرائيل مركز شرق أوسطي وغربي لمواصلة الهيمنة الغربية، بجميع أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية، والسلام في الشرق الأوسط لن يتم إلا عبر التفاهم الثقافي والحضاري، ولهذا دعا المنجرة الإسرائيليون إلى ضرورة "استبعاد القدس مركز ومهبط الديانات نفسها، أي أن الإشكال ليس بالمفهوم الديني المحض، ولكنه إشكال التواصل الحضاري وعدم قبول الآخر، وبخاصة من طرف الغرب والصهاينة"⁶⁷، وعليه فالحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات ينبغي أن يكون حوارا هادفا مؤثرا، وتفاعلا فاعلا وبانيا، ويجب أن يقوموا على قاعدة الاحترام المتبادل، بالمعنى الأخلاقي الرفيع، وبالمثلول الحضاري السامي، كما يجب أن يقوم الحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات على قواعد اجتمع البشر على صحتها وسلامتها، وانعقد إجماع الإنسانية على اعتبارها القانون الذي يحكم المجتمع الدولي، حتى يكون الحوار والتفاعل الحضاري في هذا

⁶⁶ جلال أمين، العولمة، ط3، مصر: دار الشروق، 2009م، ص 228.

⁶⁷ المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق، ص 47.

الإطار، مستنديين إلى الشرعية الدولية، وإلى قواعد القانون الدولي، بحسبان أن هذه الشرعية، وهذه القواعد هي القواسم المشتركة بين جميع الشعوب والحكومات في عالمنا المعاصر، وهي المرجعية المتفق عليها، بينما المرجعيات الدينية والثقافية والحضارية جميعا، هي محل اختلاف وخلاف، وموضع تنازع ونزاع، بل هي مصدر صراع نراه نحن أبناء الثقافة والحضارة الإسلاميتين، ومن وحي هذه الثقافة وهذه الحضارة تدافعا بين الشعوب والأمم، وبالتالي بين الثقافات والحضارات.

وهكذا يصير الحوار المفضي إلى التفاعل الحضاري فعلا إنسانيا مؤثرا في حركة التاريخ، وعنصرا مساعدا على استتباب الأمن والسلام على الأرض، وقوة دفع لاستقرار الحياة الإنسانية ولازدهارها ولرقمها. وعليه لا يجوز أن يكون الحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات، هما مجرد ترف فكري، ويجب للحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات أن تكون لهما انعكاسات على الواقع المعاصر، وتصل آثارهما إلى دوائر صنع القرار، ولا نريد حوارا وتفاعلا بين الثقافات والحضارات ينطلقان من الإحساس بالتفوق العنصري وبالاستعلاء الحضاري، ويصدران عن روح الهيمنة الثقافية.⁶⁸

فمنذ 1978م، عندما عقدت أول مائدة مستديرة في إطار "حوار شمال جنوب"، أكد المنجرة استحالة وجود أي أمل في أي نوع من الحوار شمال- جنوب⁶⁹، إلا إذا تجاوز الشمال ما أسماه بالعراقيل الثقافية والحضارية، بحكم أن أكبر مشكلة في العالم هي التأصل الثقافي، وقد كان الغرب كما هو معلوم، فاعلا أساسيا في ظهورها؛ حيث وصل إلى درجة من العجرفة حضاريا وثقافيا، نظرا لما حققه من رقي وتقدم تكنولوجي، الأمر

⁶⁸ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، ط1، مصر: دار الشروق، 1419هـ-1998م، ص24.

⁶⁹ Skouri, A, (2023). À la redécouverte de Mahdi Elmandjra : réflexions sur le Sud global, le développement, la techno politique et la production de connaissances. Global Africa, (4), pp. 102-114.

الذي جعله يشعر بأنه القوي دائما، وعلى ضوء ذلك، توصل المنجرة إلى أن "العجرفة ملازمة للقوة".⁷⁰

ومن الخطأ الاعتقاد بأن المهدي المنجرة يدعو إلى الانغلاق والانكماش مادام يدعو إلى التعددية والانفتاح على حضارات أخرى، ولا يروم الانغلاق "لأن الثقافة أولا انفتاح واعي، يغذيه تواصل خال من كل الضغوطات".⁷¹ وبذلك فهو لا يخفي احترامه للثقافة الفرنسية، فهو يكتب باللغة الفرنسية ويستمتع بقراءة شعرها وأعمال أدبائها إلى درجة أنه نال أكبر وسام للأدب الفرنسي، ولم يجد حرجا في اعتبار نفسه من أكبر المدافعين عن الحضارة الفرنسية، كثقافة وكأدب وكشعر وكمسرح، غير أنه يعارض استغلالها لأهداف سياسية أو في إطار ممارسات لا علاقة لها بالثقافة⁷²، على اعتبار أن الاستعمار يوظف مختلف الوسائل للإبقاء عن هيمنته، وتعطيل أي فكرة يمكن أن تحرر الإنسان، وتؤهله ليكون حرا من الاستعمار أو القابلية للاستعمار على حد تعبير المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي يرى أن الاستعمار وإن كان خلع علينا بابنا وزعزع دارنا، وسلب منا أشياء ثمينة، وأخذ من حريتنا وسيادتنا وكرامتنا، ومع هذا ينبغي أن نعترف بأنه أيقظ الشعب الذي استسلم لنوم عميق، وقد عودنا التاريخ أن كل شعب يستسلم للنوم، فإن الله يبعث عليه سوطا يوقظه.⁷³ ولذا، فالعالم العربي والإسلامي لازال في زمن عالمي قديم يعتمد على الاستغلال، وثمة إرهابات لنظام عالمي جديد يركز على تهميش العالم الثالث في تقدير المنجرة، ولذلك تسارعت خطى الاستغلال في التسعينيات بصورة رهيبية، حيث

⁷⁰ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية، المصدر السابق، ص 24.

⁷¹ المهدي المنجرة، قيمة القيم، المصدر السابق، ص 174.

⁷² المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، المصدر السابق، ص 64.

⁷³ مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع، 1986م، ص 149-150.

لا تملك هذه الدول فرصة التحكم في ثرواتها، وهي تمشي كمن يساق إلى قدره.⁷⁴ فهي لا تملك رؤية توجه حاضرها وتقرر مصيرنا المستقبلي، بل إن غياب هذه الرؤية في تصور المنجرة قد لا يسمح لنا بفهم ماضينا، ثم استجلاء خصوصياته ومقوماته التي عمل الاستعمار ما أمكن ليدفنها كي نعيش بماضييه، بعد أن صرنا نعيش بحاضره. ولا نتجاوز حدود المستقبل الذي يرسمه لنا، مادام مستقبلنا مرهونا سياسيا من لدن الدول الكبرى وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية، والتي يعتبرها المنجرة أكبر إمبريالية في تاريخ الإنسانية، ومرهونا اقتصاديا من قبل البنك العالمي وصندوق النقد الدولي الذي ليس سوى فرع من الولايات المتحدة الأمريكية، ومرهونا ثقافيا بهذا الهجوم الثقافي الذي تقوم به جميع الوسائل السمعية البصرية ووسائل الاتصال.⁷⁵ ولم يكن الأساسي في الحرب على العراق هو الشعب العراقي الذي أدى ثمننا باهظا بأكثر من مليون ونصف مليون شهيد، وإنما بنظر المنجرة هو الإعلان الرسمي، من لدن القوى العالمية عن بداية شن حرب حضارية، يقودها الشمال ضد الجنوب، فإذا كان الحديث عن الشرق والغرب هو حديث عن المشارب والقيم والسلوك والمزاج العام، فإن حقائق الحياة تشير إلى تفرقة أخرى مادية وملموسة، هي التفرقة بين من يملكون مصادر الثروة والمعرفة والإمكانات، وبين من لا يملكون. أو بعبارة أوضح، بين ما استقر عليه التفرقة بين شمال وجنوب. وتبدو أبرز مظاهر الحرب الحضارية في سن قانون سياسة التدخل السريع في الشؤون الداخلية لدول العالم الثالث، لمنع أي محاولة لانبثاق تغيير جذري. وهذا ما عشناه من خلال تجارب دول كإنغولا وإثيوبيا والسودان وليبيا والعراق. فالיום، يعيش العالم حرب القيم، ومن يستطيع أن يفرض قيمه يكن الأقوى حضاريا، ويسجل المنجرة هنا أن أنظمة

⁷⁴ المهدي المنجرة، عولمة العولمة، من أجل التنوع الحضاري، الكتاب 18، الدار البيضاء: جريدة الزمن، ص 103.

⁷⁵ المهدي المنجرة، عولمة العولمة، من أجل التنوع الحضاري، المصدر السابق، ص 67.

العالم العربي الإسلامي، تفرط في قيم شعوبها وتلاعب بمستقبلها ومن ثم فهي تعرض أوضاع أجيال قادمة لزحف الأنظمة الاستعمارية، ولذا يلح في مناسبات على أن حربنا الحقيقية التي تواجهنا مرتبطة بالقيم الجديدة التي تصرفها المنظمات الدولية داخل بلداننا.⁷⁶ فبالقدر الذي يتقرب فيه الجنوب لفهم الشمال، ويرغب في الاطلاع على ثقافته وحضارته، لم نسجل رغبة صريحة من الشمال في التقرب من الجنوب، بحكم أن الشمال لا يهتم سوى فرض قيمه وآرائه، وفي اعتقاد هذا الشمال أن الجنوب الضعيف، والفقير ليس من حقه أن يعكس قيمه وثقافته وحضارته، بل هو دوماً في حاجة إلى الشمال إن هو أراد الاستمرار في الحياة.⁷⁷

إن أكبر أزمة يعرفها العالم هي الأزمة الأخلاقية التي تمس المقاصد والأهداف الإنسانية الجماعية منها كما الفردية، وهو أمر ناتج برأيه من غياب رؤية واضحة، وغياب مشروع مجتمعي. وهذا ما نراه في دول الجنوب، ونراه أيضاً في دول الشمال، وفي الغرب على حد تعبير المنجرة "نجد أن غياب الرؤية ناتج عن تدهور الحضارة الغربية المسيحية - اليهودية. أما في الجنوب فهو ناتج عن فشل النموذج التنموي، والذي أكدت عدم صلاحيته للواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي المعيش"، ولا يمكن حل الصراع القائم بين الشمال والجنوب بنظر المنجرة إلا بتغيير حقيقي للنظام الدولي بما يحقق ديمقراطية العلاقات الدولية، وتطبيق المبادئ الديمقراطية التي ينادي بها الغرب داخل بلدانه على الصعيد العالمي، وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية ومحاربة الرشوة والفساد والامية والأمراض داخل بلدان العالم الثالث، إذ لا يعقل على حد تعبيره "أن يبق الغنى

⁷⁶ نفس المصدر، ص 68.

⁷⁷ المهدي المنجرة، عولمة العولمة، من أجل التنوع الحضاري، المصدر السابق، ص 97.

الفاحش في مناطق جد محدودة من العالم والفقير المدقع في بقية المعمورة"⁷⁸. ولذا لاحظ المنجرة أن التكتلات ضد العالم العربي الإسلامي تضعف دورهم وحظوظهم في الارتقاء إلى مصاف الفاعلين الدوليين سواء في النظام الدولي الحالي أو النظام التعددي المستقبلي. ولا سبيل لدول العالم العربي والإسلامي غير التوحد على الأقل من خلال سوق عربية مشتركة، واستغلال المنطقة الجغرافية الإستراتيجية التي حباها الله سبحانه بها. فالعالم العربي الإسلامي موجودة أراضيها في القارتين الآسيوية والأفريقية، ولذلك لابد من التعاون وتوحيد الصفوف فيما بيننا على منوال روح باندونج في الخمسينيات⁷⁹. فالتعاون جنوب- جنوب كـ "الأفرو- آسيانيزم" قادم، لأنه لا محيد للعرب والعالم الثالث عن التآزر والتعاقد فيما بينهم، ولأن ثمار هذا التعاون ستعود على الجميع على مستويات عدة، كضمان البقاء والتنمية والتطور. أما البروباغندا المروج لها من قبل الغرب، وأقصد التعاون شمال جنوب، فلا وجود لها لأنها استغلال دولي وليست تعاونا دوليا، وفي هذا الصدد يقول المنجرة أنه "لو أخذنا على سبيل المثال التعاون الأوروبي المتوسطي، هل تبدو تركيبته منطقية؟ فداخل هذا الاتحاد نناقش نحن العرب الضعفاء كأفراد ممثلين من خمس عشرة دولة، فلماذا نتعاون أو نتفاوض، وتحصل على نتائج بشكل متكافئ مع القوي ينبغي عليك أولا أن ترفع نفسك من الضعف، لكن للأسف المؤشرات في العالم العربي ليست إيجابية على الإطلاق، بخاصة على الأمد القصير. أما فيما يخص العالم الإسلامي فإنه سيمثل 40% من سكان العالم سنة 2100، بحسب إحصائيات الديموغرافي الفرنسي جان بورجوا - بيشا (Jean Bourgeois Pichat)، في حين سيمثل العالم اليهودي - المسيحي 20% بينما سيصل عدد الديانات التابعة للصين

⁷⁸ المهدي المنجرة، حوار التواصل، المصدر السابق، ص 87.

⁷⁹ المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق، ص 47.

كالبودية مثلاً إلى 14% ، وستمثل باقي التيارات الأخرى 26% . إذن الإسلام سيقفز من 23% إلى 40% ليس لأسباب ديموغرافية فحسب، الولادات في العالم الإسلامي أعلى من العالم الغربي، بل لأن الإسلام أكثر الديانات العالمية المعتنقة في كل أرجاء المعمورة، حتى في الدول المتقدمة كالدول الإسكندنافية وفي أميركا واليابان، وما لاحظته عبر السنوات الماضية هو أن الإسلام في الولايات المتحدة الأميركية كان يعتنق من قبل الفئات الضعيفة المهمشة، لكن اليوم بات يدخل في صفوف العقيدة الإسلامية حتى المثقفون والأكاديميون والعلماء والشخصيات البارزة في المجتمع الأمريكي، وهذا يدل على مدى عمق ونفاذ ورسوخ الدين الإسلامي⁸⁰.

إن التعاون الدولي سيصبح ذا مفهوم قطري وطابع إقليمي، لكن هذا التعاون القطري الإقليمي لن يكون مقفلاً بل مفتوحاً، فالتعاون الآسيوي مثلاً لن ينفي وجود علاقات خاصة لدولة عضو في هذا التعاون مع دول أخرى. وعليه، فاليابان ستلتحق بالهيكلية الجغرافية الجديدة لآسيا، وتترك المعسكر الغربي من أجل المعسكر الآسيوي ولاستيقاظ الصين التي تمنى نابوليون أن تظل نائمة لأنها إذا استفاقت ستهز العالم، وها هي ذي تستفيق وتهز العالم، والقول هذا لنيكسون، وليس نيكسون وحده بل حتى كلينتون أقر بأن الصين هي القوة التي ستنافس الولايات الأمريكية. ومستقبل التعاون على مستوى القارة الأمريكية ككل لن يعطي نتائج مثمرة لأنه تركيبة غير منطقية وغير موضوعية، والاحتمالية الواردة هي بقاء أميركا الشمالية متحالفة مع كندا، وهناك إمكانية انتماء كل من أستراليا ونيوزيلاندا إلى "النافتا" (منظمة التجارة الحرة لأميركا الشمالية)، وقد لا تنضم أستراليا ونيوزيلاندا إلى المجموعة الأمريكية الشمالية، وتنتهي

⁸⁰ المهدي المنجرة، زمن الذلقاتية، المصدر السابق ص48.

إلى المجموعة الآسيوية، إذا ما أحسّنا بجانبهما البعد الآسيوي والآسيو - أوسيان (Asie-Oceanic). أما فيما يتعلق بأوروبا الغربية فمن المنتظر أن تتوسع لتشمل روسيا التي لن تفلح في إخضاع دول آسيا الوسطى كطاجيكستان والشيشان وفرغيزستان وغيرها من الدول التي تجلبها قيمها إلى الانتماء إلى المجموعة الآسيوية، ونجد في أوروبا إسرائيل عضوا في المجموعة الأوروبية بعد أن رفضتها آسيا، كعضو في المجموعة الآسيوية، وستشهد العلاقات التجارية الدولية منافسة شديدة بين أوروبا الموسعة وأمريكا الشمالية⁸¹.

خاتمة: من أجل بناء وعي عربي- إسلامي

مهما بلغت درجة الأوضاع العربية-الإسلامية، فالمهدي المنجرة يروم من خلال خطابه النهضوي والتنموي الإشارة إلى مكن الداء والخلل، بعد تشريح العديد من قضايانا المختلفة ذات الصلة بما هو عالمي، ومن هنا تتضح قيمة الأفكار وقوة تأثيرها، ودرجتها في التعبير عن الوعي غير المنفصل عن الحركية الاجتماعية والتاريخية التي عرفتها المجتمعات الإسلامية، وقد انشغل المهدي المنجرة بسؤال النهضة الكبير الآتي: كيف يمكن تجاوز التأخر السائد في المجتمعات العربية الإسلامية؟ وقد تفرع عنه سؤال أساسي يتعلق بكيفية مواجهة القيم الغربية التي حملتها رياح التغريب الاستعمارية⁸².

ومن هذا المنطلق، يدعو المنجرة إلى الاعتناء بشكل كاف بالرصيد الحضاري المتوفر لدى دول العالم الثالث عموما، ومنها دول العالم العربي الإسلامي، فهو يرى أن لا مستقبل بلا ماض، والأمر لا تناقض فيه، ولذا يقول أنه " أحيانا يقال لي: " كيف تدافع

⁸¹ المهدي المنجرة، زمن الديمقراطية، المصدر السابق، ص 49-50.

⁸² كمال عبد اللطيف، مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر، ط1، بيروت: دار الطليعة، يوليو 1992م، ص 19.

عن المستقبل وتعود للكتب الصفراء؟ لكنني أرد على هذا القول بتأكيد أنني في حاجة إلى كتب صفراء وأخرى زرقاء أو حمراء لأغني مجال تفكيري ولأتمكن - حقيقة - من فهم الماضي والحاضر والمستقبل خاصة أنه لا يوجد هناك أي مبرر لأن أقيد نفسي في هذا الإطار أو ذاك". ومن ثم فالعالم الثالث مدعو إلى فهم ماضيه الحضاري والانطلاق منه، كما على المسيرين فيه أن يستحضروا الأبعاد الحقيقية للاستعمار الحضاري حتى يكون لبلدانهم مكان ما على الكرة الأرضية⁸³، ومن ثم فإن من يعتبر بأن ظاهرة العولمة الغربية حتمية، قد لا يكون في الحقيقة أكثر من اعتراف المرء بأنه لم يعد لديه طاقة باقية للمقاومة، أي أنه قد نفذ جهده، وأصبح مستعداً للتسليم.

وإذا كان هذا هو اختيار بعضهم، فهو ليس ملزماً لغيرهم كما ذهب جلال أمين الذي قال إنه "من الظلم أن يوصف بالحتمية اختيار لا يعكس إلا نفاد الطاقة أو استعجال المكافأة. وهو موقف ظالم لأنه يحمل عدة أجيال قادمة عبء فشل جيل بعينه. فاعتبار ظاهرة ما حتمية يتوقف أيضاً على المدى الزمني الذي يأخذه المرء في اعتباره. فقد يكون موضوع الهزيمة والتسليم أمراً حتمياً فعلاً بالنسبة إلى جيلي ولكنه ليس بالضرورة حتمياً لجيل أولادي أو أحفادي. ومن حق هؤلاء أن يطالبوا جيلنا بأن يمتنع على الأقل عن بيع شيء كان من الممكن أن يرمموه أو أن يعيدوا بناءه. لقد ارتكب كمال أتاتورك مثلاً هذا الخطأ في تركيا، باستعجاله التسليم وإعلان الهزيمة أمام حضارة الغرب، ولا زال أحفاده حتى اليوم يحاولون إصلاح الذي ارتكبه"⁸⁴.

⁸³ محمد بهجاي، حسن نجعي، المهدي المنجرة مسار فكر، (حوار، سيرة ذاتية)، ط5، مركش: الملتقى الجديد، 2019م، ص75-76.

⁸⁴ جلال أمين، المصدر السابق، ص41.

وإذا لم يكن هناك اهتمام بالإنسان كما قال المنجرة، فلن تكون هناك أي تنمية حقيقية، "ولن نحرز أي تقدم على جميع الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولا أظن أننا سنصل إلى أية نتيجة فعالة في هذا النظام، ونحن نرسل في الكم الهائل من التخلف وتمظهراته، وسنؤدي ثمننا باهظا جراء الإهمال الحاصل في ميدان التعليم والتربية الذي يعد قضية رؤية وإرادة سياسية. فلابد من الاهتمام بالتعليم بعيد الأهداف والمصالح السياسية، وعلى الانتهازيين إعلان الهدنة في هذا المجال الذي تسطر مخططاته مستقبل الأجيال وبالتالي مصير الأمم. للأسف هذا القطاع سيظل ضائعا حتى تطاله تغيرات وإصلاحات عميقة وجذرية، تتمثل أولاها في التعامل الرزين، والأخذ بعين الاعتبار الرأي العام الحقيقي والشرعي وتمثيل الشعب بمصادقية وديمقراطية"،⁸⁵ كي نملك مستقبلنا الذي لازال أسيرا ومحاصرا يكرس وضعه غياب الديمقراطية والنزاهة والشورى، وهو وضع بنظر المنجرة لم يعد مجديا إصلاحه أو معالجته بواسطة المضادات الحيوية، إذ الجسد العربي ينزف بشدة وكلما تأخرنا سندفع ثمننا باهظا، وسنضطر إلى عملية جراحية عصبية. ومهما يكن من أمر، في تقديره فالتغيير آت، لأمحالة.... فالشعوب تسمع صوت الغد يناديها لإثبات إرادتها إذا أرادت مكانا في الغد.⁸⁶ هذا رغم أن الأزمة الحالية تتميز بغياب الرؤية، "وذلك لسبب بسيط يتمثل في أن المتخيل لا ينمو في تربة تخنق فيها الحرية. والحرية التي أتحدث عنها تتمثل في الحالة الفكرية، وفي الانفتاح والتواصل مع الآخر"⁸⁷.

⁸⁵ المهدي المنجرة، زمن الذلقرراطية، المصدر السابق، ص 121-122.

⁸⁶ نفس المصدر، ص 146.

⁸⁷ المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ص 105.

وإذا كان من المفروض بنظر المنجرة، البحث عن الطريقة الملائمة لدفع الجماهير إلى المشاركة، حتى تستطيع أن تقول للجميع ما يلزم عمله، أي القيام باستطلاع رأي الجماهير، فإن ثمة عوائق تحول دون تحقيق ذلك، ومنها أن نظامنا كما لا يخفى قائم على "التفكير قراطية" أي أن الفقر يصبح نظاما للتدبير والحكم، وهو ما يفسر تفاقم هوة الفوارق من الاستقلال إلى يومنا هذا. ومن ناحية أخرى، يتميز نظامنا بأولوية "الجهل قراطية"، ذلك أننا بما لا يقل عن 57 بالمائة من نساءنا الأميات، كيف تريدون أن يكون البلد مسيرا تسييرا جيدا، في الوقت الذي نتحدث فيه عن مجتمع المعرفة؟ وهنا يتساءل المنجرة أيضا لنتخيل على سبيل المثال أننا في الغد سوف لا نتوفر إلا على 20 بالمائة من الأميين، فهل ستكون لدينا نفس الحكومة التي لدينا اليوم؟ وهل سيكون لدينا نفس البرلمان؟ ونفس المديرين العامين للشركات العمومية التابعة للدولة؟

كما أن من مميزات هذا النظام "الشيخوخة قراطية"، فإذا تمعنا في هرم الأعمار، فإننا نلاحظ إلى أي حد تنقصنا الديمقراطية في توزيع الأعمار باعتبار أننا محكومين بأناس شيوخ، في حين أن ثلثي الجماهير شباب. ويبدو أن من سمات هذا النظام أيضا على حد تعبير المنجرة "الكذب قراطية"، أي حين يغدو "الكذب شكلا للحكم". "فالكذب خطير لأن ذلك الذي يكذب يبدأ في الاقتناع بأنه على حق وأنه لا يكذب. وحين يقوم المرء بذلك فإنه يفقد كل مصداقية". ولتأكيد هذا الأمر، استند إلى قوله لفرانسوا موريالك، وتعود إلى 1941م، ويقول فيها: "إن الدخول في السياسة ظل يعني دائما التخلي عن الآداب، والوزراء المثقفون الذين رغبوا بين وزارتين في العودة لميدان الثقافة لم يخلفوا سوى كتبها طالها عدوى اللغو والكذب السياسي... فالصدق تجاه النفس وهو عكس السياسة تماما، هو

اليوم محك للتعرف على كاتب ما⁸⁸. وكيفما كان الأمر، فالمنجرة يرى أن مشكلتنا الأولى هي غياب الديمقراطية، وهذا ما أشار إليه في الباب الأول من كتابه المعروف: "الحرب الحضارية"، حيث أكد قائلا: "إن مشكلتنا الأولى هي غياب الديمقراطية، ونحن نؤدي الثمن غاليا عن غيابها. وطبعاً، لا أقصد ديمقراطية الواجهة، ولا ديمقراطية وجود أحزاب تعقد مؤتمراتها وتنتخب أمناءها العامين، وتشارك في انتخابات نزيهة أو غير نزيهة، أنا أقصد الديمقراطية كمنهج للعمل داخل مؤسسات الدولة والمجتمع، أقصد أن نكون نستدشق الديمقراطية والحرية وحرية التعبير".

ومن خلال تمعنه في الأوضاع العامة للدول العربية تساءل عن كيف يمكن لدول ديمقراطية أن تذهب حكوماتها عكس ما تريده شعوبها؟ وكيف سنتحدث عن مفهوم الديمقراطية في القرن الواحد والعشرين؟ ومن الحقائق التي توصل إليها في هذا السياق أن مفهوم الديمقراطية انتهى حتى عند الدول التي تعتبر نفسها مصدر هذه الديمقراطية. وفي علاقتها بمؤسسة الأمم المتحدة، لم يخف موقفه قائلا: "إذا تحدثنا عن الأمم المتحدة، فنجد أنه لم يبق لديها أية مصداقية، وأنا كتبت هذا قبل سنوات عدة. لقد تبين لي آنذاك أنها تحولت إلى آلة للهيمنة الاستعمارية الجديدة، يشغل بها موظفون انتهازيون، جاء إليها عدد منهم من العالم الثالث كمرتزقة. لم تعد لدينا أية شرعية حقيقية دولياً، فأمريكا تقول إنها تعتبر قرارها ودفاعها عن شعبها هو الشرعية، وتمنح لنفسها الحق في التدخل في أي مكان تريد، وفي أي وقت تريد، ولا أحد يعارضها"⁸⁹.

وما علاقة ما أسماه المنجرة "الديمقراطية" بأوضاعنا الداخلية الشديدة الصلة بما يأتي من الخارج؟ جواباً عن ذلك، يقف المنجرة عند حقيقة مفادها أننا نعيش فترة تطرح

⁸⁸ المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ص 109.

⁸⁹ نفس المصدر، ص 125.

علينا فيها تساؤلات كبرى، تمثل امتحانا لهذا العالم الجديد الذي نريده. ولذا قال: "أرى أن هناك رؤية فيها تشاؤم والتشاؤم هو أنه لا يمكن أن نصل إلى حالة ذل أكثر مما وصلنا إليه، وبالخصوص في العالم العربي والإسلامي، وهو ما أسميه "الذلقرابية". إن حكامنا يقبلون الذل ممن هم أقوى منهم، وبالخصوص من أمريكا وإسرائيل، وحين يقبلونه يسقطونه علينا كشعوب، وشعوبنا تقبل الذل من حكامها، فنحن إذن أمام ذل مركب". ولذا قال المنجرة: "الأوضاع لا يمكن أن تبقى على هذه الدرجة، وقد سبق أن قلت إن ما نراه في فلسطين وما سنراه في العراق هي بداية. فهناك، حتى بقطع النظر عن الدين والإيمان وعن أي شيء آخر، أنا لا أتصور بشرا باستطاعته أن يعيش بدون فكر وقيم خاصة بالكرامة.. الحيوانات لديها فكرة عما هي الكرامة، وحتى النبات. نحن الآن، نؤدي الثمن عن الإهانة التي لحقت شعوبنا أيام الاستعمار وحين ذهب، جاء استعمار جديد مشكل من تحالف بين الاستعمار القديم وبين حكامنا الجدد الذين عملوا على إفساد شعوبهم". وبعد هذا، جاءت العولمة ودخلنا إلى نفس المسار، فإلى أين نتوجه؟ الآن انتهى دور الشعوب في دفع الثمن، فقد ساهمت بما استطاعت ولا يمكن لها أن تستمر في نفس النهج. نحن بالفعل، نعيش مرحلة صعبة أقدر أن خمس أو حتى سبع سنوات سنعيشها بصعوبة بالغة، وستحدث بها عواصف وانعطافات، لا ندري أين ستبدأ ولا أين ستنتهي. أما ما يسمى بالاستقرار، والذي يعني عند علماء البيولوجيا الموت، فهو غير موجود لا في الطبيعة ولا عند البشر. كل شيء انتهى الآن، لقد وصلنا إلى حد لم يعد محتملا..." وعلى ضوء ذلك، دعا قائلا: "إننا مضطرون للتفكير في إصلاحات جذرية، ولا مفر لنا من هذا"⁹⁰. وتلك مسألة أخرى، نأمل أن نخصص لها حيزا يليق بها، بشكل أكثر تفصيلا.

⁹⁰ المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ص 125-126.

لائحة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

- أمين، جلال. *العولمة*. ط. 3، دار الشروق، 2009.
- الببلاوي، حازم. *نحن والغرب: عصر المواجهة أم التلاقي*. ط. 1، دار الشروق، 1999.
- بشارة، عزمي، وآخرون. *العرب والعولمة*. ط. 1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
- تيزيني، طيب. "بيان في النهضة والتنوير العربي: باتجاه مشروع نهوض عربي تنويري جديد". *عالم الفكر*، مج. 29، ع. 3، يناير-مارس 2001.
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان. *الحوار من أجل التعايش*. ط. 1، دار الشروق، 1998.
- الجابري، محمد عابد. *المسألة الثقافية في الوطن العربي*. ط. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.
- جارودي، روجيه. *حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها*. ترجمة عزة صبحي، ط. 3، دار الشروق، 2002.
- الجميل، سيار. *العولمة الجيدة، العولمة الجديدة، والمجال الحيوي للشرق الأوسط: مفاهيم عصر قادم*. ط. 1، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1997.
- الدواي، عبد الرزاق. *في الثقافة والخطاب: عن حرب الثقافات وحوار الهويات الوطنية في زمن العولمة*. ط. 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
- رضوان السيد. *الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية*. ط. 1، دار الكتاب العربي، 2004.

- سولت، جيرمي. تفتيت الشرق الأوسط: تاريخ الاضطرابات التي يثيرها الغرب في العالم العربي. ترجمة نبيل صبحي الطويل، ط. 1، دار النفائس، 2011.
- السماك، محمد. موقع في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد. ط. 1، دار النفائس، 1995.
- موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد. دار النفائس، 1995.
- عبد الرحمن حسن، حمدي، وآخرون. العولمة وتداعياتها على الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، د.ت.
- عبد اللطيف، كمال. مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر. ط. 1، دار الطليعة، 1992.
- مجموعة من المؤلفين. دول وعولمة: استراتيجيات وأدوار. إشراف لورينا باريني، ترجمة نانيس حسن عبد الوهاب، مراجعة وتقديم مجدي عبد الحافظ، ط. 1، المركز القومي للترجمة، 2007.
- بن نبي، مالك. شروط النهضة. ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والتوزيع، 1986.
- بهجاي، محمد، وحسن نجمي. المهدي المنجرة: مسار فكر (حوار، سيرة ذاتية). ط. 5، الملتقى الجديد، 2019.
- مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية. المأزق العربي: قراءة في القضايا العربية المعاصرة. ط. 1، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، 2003.
- المنجرة، المهدي. الإهانة في عهد الميغا إمبرالية. ط. 5، المركز الثقافي العربي، 2007.
- المنجرة، المهدي. انتفاضات في زمن الديمقراطية. ط. 3، مطبعة النجاح الجديدة، 2006.

- المنجرة، المهدي. *الحرب الحضارية الأولى*. ط. 1، مكتبة الشروق، 1995.
- المنجرة، المهدي. *حوار التواصل*. ط. 1، كتاب شهري، العدد 1، سبريس، 1996.
- المنجرة، المهدي. *زمن الديمقراطية*. ط. 1، المركز الثقافي العربي، 2017.
- المنجرة، المهدي. *عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري*. الكتاب 18، منشورات الزمن، 2000.
- المنجرة، المهدي. *القدس: رمز وذاكرة*. ط. 1، دار وليلي، 1996.
- المنجرة، المهدي. *قيمة القيم*. ط. 1، دن، 2007.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- Elmandjra, Mahdi. *Humiliation à l'ère du méga-impérialisme*. 1re éd., 3 oct. 2003; 2e éd., 30 oct. 2003.
- Skouri, Abdelkarim. "À la redécouverte de Mahdi Elmandjra : Réflexions sur le Sud global, le développement, la technopolitique et la production de connaissances." *Global Africa*, no. 4, 2023, pp. 102–114. <https://doi.org/10.57832/d2kd-1d89>.